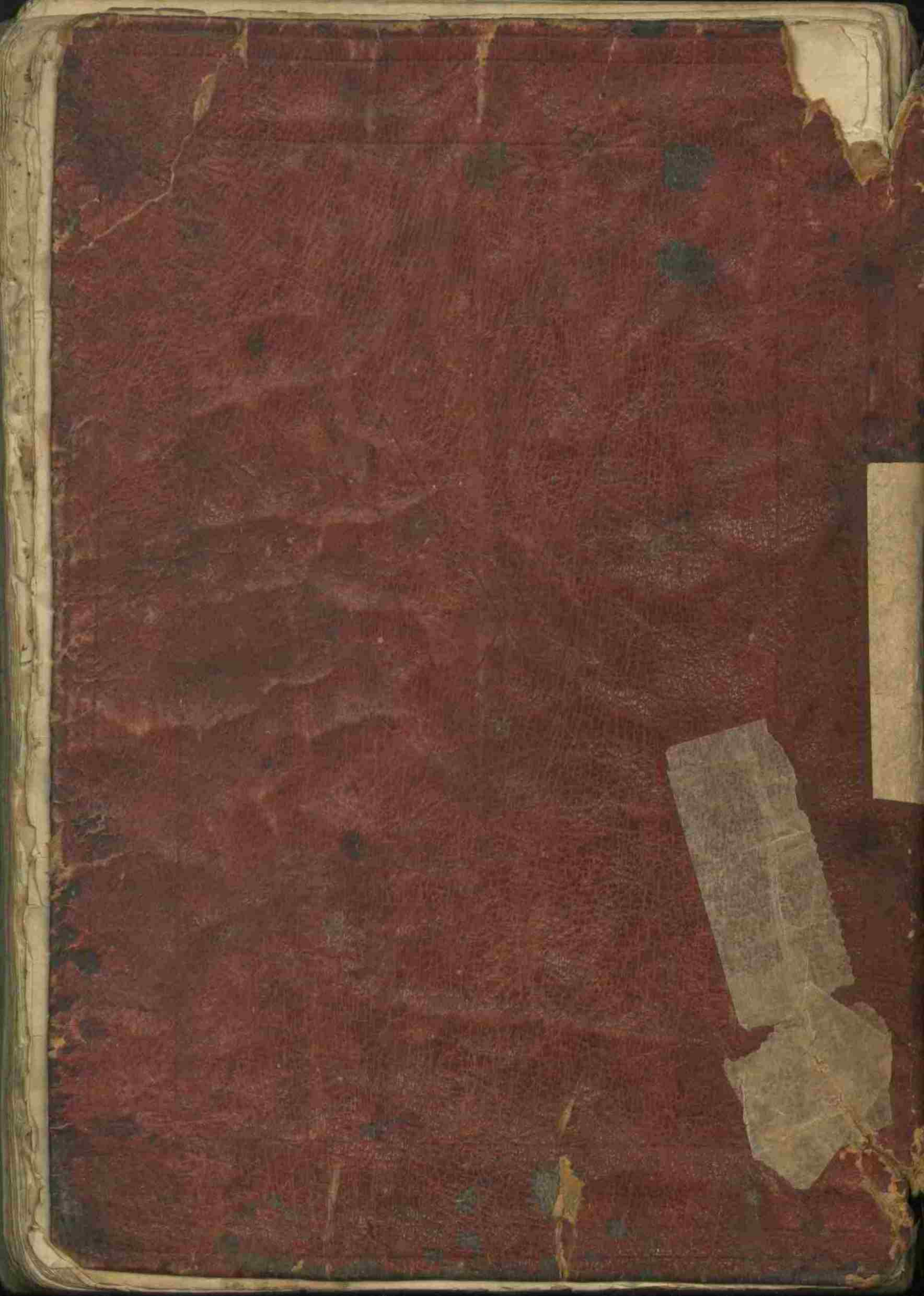



۴۹۱۳

وان رماهم بآبدة رموه بمآثر وقد جردت لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا
الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض حده
في اعراض من عارض الحجة الا العلماء ان البحر قد زخر فطم على الكواكب
وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي
اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللوا
المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت
بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في
التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى
جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات
العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق
العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه
الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب
ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى
الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات
من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض
اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحديهم واخصهم
والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم

عناة فی ید التقلید لا یمنّ علیهم بجزّ نواصیهم واطلاقهم ثم ان املأ
العلوم بما یغمر القرایح وانهضها بما یبهر الالباب القوارح من غرایب
نکت یلطف مسلکها ومستودعات اسرار یدقّ سلکها علم التفسیر الذی
لا یتمّ لتعاطیه واجالة النظر فیه کل ذی علم کما ذکر الجاحظ فی کتاب نظم القرآن
فالفقیه وان برز علی الاقران فی علم الفتاوی والاحکام والمتکلم
وان بزّ اهل الدنیا فی صناعة الکلام وحافظ القصص والاخبار
وان کان من ابن القریة احفظ والواعظ وان کان من الحسن البصری
اوعظ والنحوی وان کان انحی من سیبویه واللغوی وان علک اللغات
بقوة لحییه لا یتصدی منهم احد لسلوک تلک الطرایق ولا یغوص علی شیء من
تلک الحقایق الا رجل قد برع فی علمین مختصین بالقرآن وهما علم المعانی
وعلم البیان وتمهل فی ارتیادهما آونة وتعب فی التنقیر عنهما
ازمنة وبعثته علی تتبع مظانهما همة فی معرفة لطایف حجة الله و
حرص علی استیضاح معجزة رسول الله بعد ان یکون اخذا من سایر العلوم
بحظ جامعا بین امرین تحقیق وحفظ کثیر المطالعات طویل المراجعات
قد رجع زمانا ورجع الیه وردّ وردّ علیه فارسا فی علم الاعراب مقدما
فی حملة الکتاب وکان مع ذلک مسترسل الطبیعة منقادها مشتعل
القریحة وقادها یقظان النفس درّاکا للمحة وان لطف شانها منتبها

علی الرمزة

علی الرمزة وان خفی مکانها لا کزّا جاسیا ولا غلیظا جافیا متصرفا ذا دربة
باسالیب النظم والنثر مرتاضا غیر ریّض بتلقیح بنات الفکر قد علم کیف یرتب
الکلام ویؤلف وکیف ینظم ویرصف طالما دفع الی مضایقه ووقع فی
مداحضه ومزالقه ولقد رایت اخواننا فی الدین من افاضل الفئة
الناجیة العدلیة الجامعین بین علم العربیة والاصول الدینیة کلما رجعوا الیّ فی
تفسیر آیة فابرزت لهم بعض الحقایق من الحجب افاضوا فی الاستحسان والتعجب
واستطیروا شوقا الی مصنف یضم اطرافا من ذلک حتی اجتمعوا الیّ مقترحین
ان املی علیهم الکشف عن حقایق التنزیل وعیون الاقاویل فی وجوه
التاویل فاستعفیت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدین
وعلماء العدل والتوحید والذی حدانی علی الاستعفاء علی علمی انهم
طلبوا ما الاجابة الیه علیّ واجبة لان الخوض فیه کفرض العین ما اری علیه
الزمان من رثاثة احواله ورکاکة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنی عدد هذا
العلم فضلا ان تترقی الی الکلام المؤسس علی علمی المعانی والبیان فاملیت
علیهم مسئلة فی الفواتح وطایفة من الکلام فی حقایق سورة البقرة وکان
کلاما مبسوطا کثیر السؤال والجواب طویل الذیول والاذناب وانما حاولت
به التنبیه علی غزارة نکت هذا العلم وان یکون لهم منارا ینتحونه
ومثالا یحتذونه فلما صمم العزم علی معاودة جار الله والاناخة بحرم الله

فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجاري بكل بلد من فيه مسكة
من اهلها وقيل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك
الملي متطلعين الى ايناسه حرصا على اقتباسه فتهز
ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت
الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية
الامير الشريف الامام شرف ال رسول الله ابي الحسن
علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس دام الله مجده وهو النكتة
والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم
اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة
حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز
مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي
المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة
هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت
بي العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت
في طريقة اخصر من الاولى مع زيادة التكثير من الفوائد
والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه

في مقدار

في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق وكان يقدر تمامه في
اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت
المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسئل الله
ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا على الصراط
يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسئول **سورة فاتحة الكتاب**
مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة
اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران
من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي
ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك
وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة
لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفا
والشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد
انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس
توكلت على الله بسم الله الرحمن الرحيم
قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية
ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور
وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ

بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن
تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة
والكوفة وفقهاوها على انها اية من الفاتحة ومن
كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون
بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم
بتجريد القران ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها
من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها
فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله
فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره
بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء
كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات
كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح
وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل
التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله
عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع
ايات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين
وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت

ومنه قوله

ومنه قوله فعلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد
الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا
قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به
لانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات
باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير
الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم
الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم
الله مجراها ومرساها فان قلت فقد قال اقرأ باسم
ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع
لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان
قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في
قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد
ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة
حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عم كل امر ذي بال
لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا وفعل

جعل فعله مفعولا لا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم وثانيا
ان تتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت
بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفا
والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفا والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان
قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة
العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين
الى اخره وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف
يتبركون بالسنة وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت
من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة
التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه
وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام
فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية
والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون
فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن
اذ كان دابهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة
لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة
واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى

عنها

عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء
وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة ارتفاع صوت
بذكره والمنبذ قنو النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط
واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج
دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت
الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول
الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله
ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن
على الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك
قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل
والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان
النجم اسم لكل كوكب غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة
والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق
واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق
قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد صيغة

قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل
وقل النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة
وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن
فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم
من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج
في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم
بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف
لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف
قلت بلى قال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من
الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما
أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم
فيه وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فإن قلت
كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا قلت أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان
وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت

كما حظر

كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع
إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله
بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز
عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه
وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن
قلت فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى
إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن
فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول
ما دق منها ولطف الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة
وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر
فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال الشاعر أفادتكم النعماء
مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر
ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن
ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب
الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو
النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران

وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم

باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا

وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها

ويسدون مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة

المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء

للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى

قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على

ان ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان

الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده

وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك

نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه

قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد **فان قلت**

ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها

العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما

يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو

من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه

كثير من الناس وهم منهم وقرء الحسن البصري الحمد لله

بكسر

بكسر الدال لاتباعها اللام وقرء ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم

اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع

انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل

الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين و

اشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية

تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب

المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل

من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول

ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينمه فهو نم ويجوز

ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله

وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة

وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي عليه السلام

رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين

العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام

والاعراض **فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت**

فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام

قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين

جسر معنی جرات کردن

انحدار سرازیر شدن

و مالك و ملك بتخفيف اللام و قرء ابو حنيفة ملك يوم الدين

بلفظ الفعل و نصب اليوم و قرء ابو هريرة مالك بالنصب و

قرء غيره ملك و هو نصب على المدح و منهم من قرء مالك بالرفع

و ملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين و لقوله لمن الملك

اليوم و لقوله ملك الناس و لان الملك يعم و الملك يخص و يوم

الدين يوم الجزاء و منه قولهم كما تدين تدان و بيت الحماسة

و لم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الا

ضافة قلت هذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق

الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار

و المعنى على الظرفية و معناه مالك الامر كله في يوم الدين

كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة

غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه

صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم

الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك

مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك

هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك

العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد و

هذا

هذا هو المعنى في مالك يوم الدين و يجوز ان يكون المعنى

ملك الامور يوم الدين كقوله و نادى اصحاب الجنة و نادى

اصحاب الاعراف و الدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم

الدين و هذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه

ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته و ربوبيته و من

كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة و الباطنة و الجلائل و الدقائق و من

كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب و العقاب بعد

الدلالة على اختصاص الحمد به و انه به حقيق في قوله الحمد لله

دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه

بالحمد و الثناء عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل للمنصوب

و اللواحق التي تلحقه من الكاف و الهاء و الياء في قولك

اياك و اياه و اياي لبيان الخطاب و الغيبة و التكلم

لا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك

و ليست باسماء المضمرة و هو مذهب الاخفش و عليه

المحققون و اما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ

الرجل الستين فاياه و ايا الشواب فشيء شاذ لا يعمل

عليه و تقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله

اصحاب النار

بمعنى اجزني

قل افغير الله تأمروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد
وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان
ترحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل
الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت
لم عدل من لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان
قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت
امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلث ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته
عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع
وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات
العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة
في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك

يامن

يا من هذه صفاته نخصك التميز الذي لا يحق العبادة الا به فان قلت
لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم
وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت لم قدمت العبادة
على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة
اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه
والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله
اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ
ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى
كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي
الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه
ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح بمنح ا
الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي عليه السلام وابي اهدنا ثبتنا
وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان
في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء
اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه

يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا والفصحى اخلاص الصاد
وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب ويذكر ويؤنث
كالطريق والسبيل والمراد طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت
عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا
الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا
لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار
بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك
شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول
هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم
والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت
ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم
الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا
للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع
ولا منازع والذين انعمت عليهم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل
كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته

واشتملت

واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى وعيسى قبل ان غيروا وقيل هم
الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين
انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال
او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة
من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف
وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد
امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الابهام الذي ابى عليه ان يتعرف وقرئ
بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب
ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب
عليهم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله
قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة
وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت
يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين
عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية
محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت
لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا

غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب
وعن عمر وعلي عليه السلام انهما قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين
بالهمزة كما قرا عمرو ابن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة امين صوت
سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت
بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله
صلى الله عليه وآله عن معنى امين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن
النبي صلى الله عليه وآله لقنني جبرئيل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب
وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم تثبت في المصاحف
وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه
وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر
ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع
بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لابي بن كعب
الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني

التحتياني د
السختياني د
الضألين د
ولا جأن د
المصاحف
مغفل
حجر

والقرآن

والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
العذاب اربعين سنة

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

هو

الم

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم

ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت

الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با

زه به روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات

لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي

عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا

في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل

اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة

مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها

في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة

والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة

الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول

واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب

كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم

عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل

شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا

ان يأتي وان ارتبتم في ان محمدا صلعم منزل عليه فهاتوا انتم من مثله

ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من

جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت

واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله

وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة

ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني

الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها

من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذلك اذا كان

احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان

منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد

دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه

بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل

في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون

الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين

الى ولاية الكافرين وقال امية ابن صلت يا نفس ما لك دون الله من واق

اي اذا تجاوزت وقاية الله تعالى ولم تناليها لم يقك غيره ومن

دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم

علقته صرف

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها

فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انها تشهد لكم
يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى
من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك
القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اولياء الله
من المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه
المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح
بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين
عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالشهداء
في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله
شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله تعالى ولا تقولوا الله تعالى يشهد
بما ندعيه كما يقوله العاجز من اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا
الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصح بها الدعاوى
عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة
قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون

تحقيق في امر دون مع استعماله مع من

الناس والحجارة أعدت للكافرين

وقولهم هذا تسجيل على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة
وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له
قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة وادعوا من دون الله شهداءكم
ان الله تعالى شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم
وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم وادعوا كل
من تشهدونه واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر
وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في
معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة
التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به حتى يعثروا
على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه
ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه
ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب
وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار
بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت انتفاء
اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون
ان التي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم
على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل

كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام
والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف الواثق من نفسه بالغلبة
على من يعاديه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه
تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه
اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم
ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا
ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول
ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعدد
كيفيات وافعالا فتقول بئسما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه
لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل
لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة
من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة
اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان
في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك
لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تقول انا مقيم
واني مقيم وهي عند الخليل في احد قوليه اصلها لا ان
وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين

عن الخليل

عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين تضمن
انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء
لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة
محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل
علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه
في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا
بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله
واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم اذا استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار
موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه
من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك
لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا
امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة
من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل
شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشتملا
ذلك على تهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر
فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها

وقدت النار وقودا عاليا ثم قال الوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها (وان كانت السورة مدنية) الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله تعالى منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها توقد بالناس والحجارة

ام هي نيران

الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا

ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله تعالى اندادا وعبدوها من دونه قال الله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله تعالى عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت من العتاد هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا

مِن قَبلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُم فِيهَا أَزوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

عدت اعتدت من العباد بمعنى العذاب من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط
لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم
واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق
والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط
بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت
يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون كل احد كما قال
صلى الله عليه وآله بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام
يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل واحد مامور به وهذا الوجه
احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان
يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر
ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر
حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف
هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين
كما تقول زيد يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني
اليهم وفي قراءة زيد بن علي وبُشّر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا

قال العبيد

وَهُم فِيهَا خَالِدُونَ

قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم
لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني
اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد
وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم
فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ
المستهزأ به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك
ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة كالحسنة
في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق
بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت
على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه
الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد
بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية
والجمعية في جمل الجنس لا في وحداته فان قلت فما المراد بهذا المجموع
مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن
في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر
على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة
من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت
دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة
ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل
بسكنى آدم وحوا الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة
بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة
وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان
كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم
جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان
والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر
وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا
شرط ذلك قلت لما جعل الله تعالى الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح
والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق
فاعله المثوبة عليه والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه
وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله للنبي صلعم
وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال

للمؤمنين

للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت
كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي
الانهار الجارية وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه
البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها
مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى
وان الجنان والرياض وان كانت آنق شي واحسنه لا تروق النواظر
ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا
كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل
لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات
مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد
كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوته
والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر
دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار
التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي
كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت
لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر

واما تعريف الانهار فلان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيها الماء
والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد
الانهار لها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس
شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا
لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة
لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه ان ثمار تلك
الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس آخر لا تشابه هذه
الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان
تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله تعالى فان قلت ما موقع من ثمرة قلت
هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من
الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها
او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية
كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق
من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان يقول رزقني فلان فيقال
لك من اين فتقول من بستانه فيقال لك من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره ان رزقا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات

ثم جعل

ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد
بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة
بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد
وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر
عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوا في الدنيا قلت معناه هذا
مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها
وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن
ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت
الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا صح على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به
لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر
الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان
بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه
وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له

معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه

وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه

واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به

ولو كان جنسا لم يعهد وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون

إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان

الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة

ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم

يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده

ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه

كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب

من أن يفاجؤا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق

بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها

دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة

وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم

في كل أوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها

أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري

في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير

في اتوا به

في اتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه

من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى

أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من

قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلى الله عليه وآله

والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها

فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فإذا أبصروها

والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو فإن قلت

كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك

فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكذا وكان

صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون

وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد

بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة

وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل

تحت الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا

مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الردية

والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن

وكيدهن فإن قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت

هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء

فعلت هي

إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

وهن في علة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ
زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي
كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به
تطهرة فان قلت فهلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن
ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله
عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد
الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل
ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال سيقت هذه الآية
لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع
الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما
كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب
به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم

ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له
بالظلمة ولما كان حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله تعالى لا حال احقر
واقل منه ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب
واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل
للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل
على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكم به ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم
الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا
التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ في حوله
وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون
اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا
فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك
سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف
انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد
واصرد من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف
من بعوضة وكلفني مخ البعوضة ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود

وَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَا اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا

والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء باحقر منها مما لا يغني استغرابه وصحته على
ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث
بامارة ولا اقناع ان يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم
والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود
وقالوا ما يشبه هذا كلام الله تعالى فانزل الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار
يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل
كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت منه هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه
من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا
ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحيوة وذاب حياء وجمد في مكانه
خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم
في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى حيي
كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار
على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك
من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع
هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب

والعنكبوت

يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا وَيَهْدِيْ بِهٖ كَثِيْرًا وَمَا يُضِلُّ بِهٖ اِلَّا الْفَاسِقِيْنَ

والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو
فن من كلامهم بديع وطراز عجيب ومنه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة
فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ
بناء الجار وتجعيد الشهادة مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح
بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على
اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان
هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي
الحديث اضطرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت
باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما
تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان
رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة

قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاصابين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شاب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلعم

كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان يكون التي
فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله تعالى لاصنامهم المحقرات
قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد شيئا من الاشياء المحقرة مثلا
بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينارا ودينارين
والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه
كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره
الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من
لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى روبة بن العجاج
وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة
وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة
الا الى هذا الوجه وهو المطابق للفصاحة وانتصب بعوضة بانها
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة
عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض
وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على

اي الحسن البصري في الفصاحة

وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت
بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح
اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة
وذلك ان قولك الف دلالة على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان
المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل
على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة
كقولهم بانا وبالتفخيم كقولك يا وها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف
والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل
على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم
ان تلفظوا بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال
انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب
الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في كذا قال فاما لوا وان كان حرفا
فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم
الذي هو يس اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من
اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت
سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه
وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو
كيف واين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت
فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء
وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما
مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل
والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي

خليقة بالاخفاء لا وجه لاستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء
لحروف المعجم وانها من قبيل المعرب وان سكونها اعجازها عند الهجاء لاجل
الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها
وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره
على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما
ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو
اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة
مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم
يتاتى فيها ان تفتح فيها نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما
واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران
الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم
منعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف
فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته
الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها
وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر تنادوا بالرحيل
غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في
من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى
فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه
ان يقال ذلك نصب ليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت
وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس و
يس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال

حركت

حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت هلا زعمت
انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن
على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله
ناصح وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه
الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد
استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا
تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما
الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو و
الاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة
الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء
لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن
اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو
قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم
ههنا بمنزلة الواو وهذا لا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية
لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير
انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى
يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب و
يعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان
قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت
من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف
لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات
فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ

في الحكاية مثل ما سوغت في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في
ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كانه قيل
اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قولهم حم لا ينصرون
فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى
تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان
ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز
من قايل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف
انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ
بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في
هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها و
ان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطايل منها وان بعضها مفردا لا يخطر
ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في
خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء
ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان
اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة
وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه
الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا
المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه
كلامهم ليوديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم
تظهر معجزتهم ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام و

زعماء

زعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان
في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة
كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم
يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى
والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول
ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء
واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب
ويودي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول المحقق
على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه
نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما
قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور
السموات والارض وليست هذه الجمل اسامي هذه القصايد وهذه السور والاي
وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي
تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها
ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض الاول
على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج
جواب عن الاعتراض الاول
عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير
مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما
حقه ان يحكى حكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد
منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وبين التسمية بطايفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة
ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا
جواب عن الاعتراض الثاني

لانها تسمية مولف بمفرد والمولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه
ومن حرفين مضموما اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث
كان الاسم مولفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلايل الاعجاز
وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم
واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا وخالط
اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد
الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون وكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا
من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي لم تكن قريش ومن دان بدينها
في شي من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته
وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما
اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف
المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف
المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف
بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء
ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون
ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم
والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها
الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين
والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء
ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين

السين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة
بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شي حكمته وقد علمت ان معظم الشي
وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته فكان الله عز
اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت
لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في
تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح
مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وال عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة
والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القران وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه
على ان المتحدى به مولف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض
واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء
في القران فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على
وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف
وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة
احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب
الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين
الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما
وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص
ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك
هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا
يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب

ذلك الكتاب لا ريب

القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت
هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور
المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها
وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وصاد وقاف ونون ثلاثتها لم تعد آية هذا
مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في
حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق
التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا
حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق
بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وعلا
الم الله اى هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من
الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام
فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر
فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء
للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات
المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة
الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام
يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول
فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما
علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول
لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا
به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من
ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه

فيه هدى للمتقين

فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان
جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس
الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني
نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني
عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أن
يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه
ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستاهل
ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال
من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب
صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اى هذه
الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة
وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب
اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ
محذوف اى هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل
الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة
وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رض قال سمعت رسول الله
يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اى فان
كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن
له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه
ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على
سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما
المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث
لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرّفهم الطريق إلى مزيل الريب
وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل
دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فإن قلت فهلا
قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لأن القصد في إيلاء الريب
حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه
ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما
قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما
تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء
لا ريبٌ فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق
وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا
بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة
في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل
كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى أو في ضلال
مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن
يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه
ذلك فإن قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز
المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته
كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس إذا
أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى
المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
إلا فاجرا كفارا أي صائرا إلى الفجور والكفر فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين

قلت لأن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق
علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون
هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى
بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا
فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول
المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها
إذا أصابه ظلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقيها أن يصيبه أدنى شيء
يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك
واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر
وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة كما لا يجوز
إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو
خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن
ينصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة
أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين
رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة
هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية
متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا
على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة
التحدي وشدا من أعضاده ثم نفي عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة
وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة

وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل
افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله
وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم يخل كل واحدة من الاربع
بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف
من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع
المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا
للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح
منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقتطع
عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا
كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان
قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين او مسرودة مع المتقين تفيد
غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا
قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال
المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان
الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما
العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الا ترى كيف سمى رسول الله صلعم
الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى
الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما
كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن
ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان
لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح

عن فضل

ومما رزقناهم ينفقون

عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة
على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا
للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة
بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان
افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما
ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت
ذا امن به اي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي
يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان
يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين
بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي
ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلعم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد
كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ
هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان
جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما
سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب
الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون
فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء
الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا
لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات
وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته

والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك

حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق و
يعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق
ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل
اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود
اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دايمون
والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ
عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون و
اذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمير
لادائها وان لا يكون في موديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر
وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس عنه
وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر
عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود
التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين والصلوة فعلة من
صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه
وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي
مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام
بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعـ ويسمى رزقا
وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم
مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به
وجايز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة
وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول

كل

وبالآخرة هم يوقنون

كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد
وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك
اذا تاملت فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين او هم الاولون وانما وسط
العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة
ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى
واعادة الارواح في الاجسام ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في
التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا
ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد و
التناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة
والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف
غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى
انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير
اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب و
غيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين
يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره
والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ
المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل
واشتمال الايمان على الجميع لما بعده ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما

عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما
يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان
ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى
نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب
ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب
به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب
دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرا يزيد بن
قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة
على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من
آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء
الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة
الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا
وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة
الارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو
كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الي
مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى الجملة في محل الرفع
ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ونظم الكلام على
الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت
به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين
بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال
المقدر وجيء بصفة المتقين المطوية تحتها لخصايصهم التي استوجبوا بها

من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم
اي الذين هؤلاء عقايدهم واعمالهم احقا بان يهديهم الله
ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار
الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل
للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك
كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى
فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون
الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واعلم ان هذا
النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث
كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة
صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه هل يجوز ان يجري الموصول
الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره
نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله

وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله
لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد
له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان
عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو
على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى
الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه
من عنده وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل
على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي
الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة
والكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها
وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك
تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل
واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت
مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا

فلذلك

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شبعة ان نالها عد مغنما
اذا ما راى يوما مكارم اعرضت تيمم كبراهن ثمت صمما
يرى رمحه او نبله او مجنه وذا شطب عضب الضريبة مخذما
واحناء سرج قاتر ولجامه عتاد فتى هيجا وطرفا [illegible]
[illegible]
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم
بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في
الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد
بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه
دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في
المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون
في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل
زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة
المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة
كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا
هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله
احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط
الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا
وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب
والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم يسبق به كلمته اللهم زيننا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز
بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله

ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحا، والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح
وكذلك اخواته في الفا، والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه و
خالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان
الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم
العتاة والمردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم
اللطف وسوآء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته
لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الاي الكثيرة
ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه
مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار
من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب
وهما على حد لا مجال فيه للعاطف هذا ان زعمت ان الذين يؤمنون
جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم
عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الاي المتلوه
فقد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني
على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى
وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين

كفروا

كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل
والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره
تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم
باستوآء الانذار وتركه عليهم وسوآء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما
يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سوآء بيننا وبينكم في اربعة ايام
سوآء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه
وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدآء وسوآء خبرا
مقدما بمعنى سوآء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان الفعل ابدا
خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام هو من جنس الكلام
صح المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في موا
ضع من كلامهم مع المعنى ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن
معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح
من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستوآء وقد انسلخ
عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام
كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا

أي على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء
ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم
أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم
غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف
الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن
قبله كما قرئ قد أفلح   ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا
هو لحن خارج عن كلام العرب من وجهين أحدهما الإقدام على جمع
الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا
مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف
الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب
ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس
والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي
لا يؤمنون   جملة مؤكدة للجملة التي قبلها
أو خبر لأن والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم أخوان لأن
في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل
إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه وهذا البناء

لما يشتمل

لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة   ما معنى الختم على القلوب
والأسماع وتغشية الأبصار   لا ختم ولا تغشية ثَمّ على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ثمة
ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها
ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم
لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم و
أبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين
المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك
وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها
وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاز بينها وبين الاستنفاع بها بالختم و
التغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم
الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت
لسانه لحما يحركه لصقر نافر   فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه
يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا
لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما
نطق به التنزيل   القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد
الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها
كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه

يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية
ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد
بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم
مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت
الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول
غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه
من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي
هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها
او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له
عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك
ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا
الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات
شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له
فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق
المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل
كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به
عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر

وذيل ذائل

وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر
ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة
ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم
في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند
اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما
كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر
ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام
العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم
الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم
ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن تركه
القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم
على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء
وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم
في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان
الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم
قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة

ولا تسئليني واسئلي عن خليقتي

وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم
التغشية فعلى أنها بقول على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم
أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم لو لم يكرر
لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع
تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما
وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن
اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك
أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن
في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس
سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم هلا منع أبا عمرو
والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد
لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير
كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال
والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما أن
البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ

فاذا لم يؤمن

غشاوة

غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشوة بالكسر والرفع
وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب من النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه
كما تقول نكل عنه ومنه العذاب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده
ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب
ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني
عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره
ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي
عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم
أجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين
أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم
قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث
بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم
الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا
أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا
وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار

ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية
نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم
الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين
كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس فحذفت همزته تخفيفا كما قيل
لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله
إنسان وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة
على الأصول ألا تراك تقول في وزن قه افعل وليس معك إلا العين وحدها وهو
من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان
ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين
كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه
ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك
نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل
ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها
للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي   كيف يجعلون
بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم   الكفر جمع الفريقين

مع

معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر
بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا
من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات
إنما تأبى التنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية   لم اختص بالذكر الإيمان بالله
والإيمان باليوم الآخر   قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث
وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان
لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته
فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا
لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على
وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي
كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم
اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء
أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام   كيف طابق
قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل
لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل   قلت القصد إلى إنكار
ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التأكيد
والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين

ذلك المبالغة

يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ

لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين فى الايمان واذا شهد عليهم بانهم فى انفسهم
على خلاف صفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك النفى ما انتحلوه اثباته
لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فلم جاء الايمان مطلقا
فى الثانى وهو مقيد فى الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه
ولن يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان فى شىء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر
ولا من الايمان بغيرهما ما المراد باليوم الآخر يجوز ان يراد به الوقت الذى
لا حد له وهو الابد الدايم الذى لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت
المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة الذى لا حد للوقت بعده الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه
ثم خرج من باب آخر كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان
العالم الذى لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون
وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا يرى الى قوله واستمطروا من قريش كل
مخدع وقول ذى الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء البعث
بالانخداع ولم يأت بالخدع فيه وجوه احدها ان تكون صورة صنعهم
مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة

صنع الله

إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده فى عداد الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث
امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثانى ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم
وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا
بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غنى عن فعل القبائح
فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله فى زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفى
وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد به الرسول لانه
خليفته فى ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك
كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله
ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبنى زيد
وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة
الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك
ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظير
فى كلامهم علمت زيدا فضله الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه
لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد
لذكر فضله هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح

لمن يعني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة
والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده
من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله
والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا
كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون
كانوا يخادعونهم عن اغراضهم ومقاصدهم عم كانوا يخادعون
منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون من سواهم من الكفار
واصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار
التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فلو اظهر عليهم حينئذ
لم يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها لم يظهر عليهم لما احاط به علما
من المصالح التي لو اظهر عليهم لانعكست تلك المقاصد واستحقاء ابليس وذريته
ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك
ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة ما المراد بقوله وما يخادعون
الا انفسهم يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة
المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار
فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه

وان يراد

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم

ولان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها بانه
وانفسهم لك تمنيهم وتحدثهم بالاماني ولان يراد وما يخادعون فجرى به على لفظ
يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون [illegible]
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات
الشيء وحقيقته [illegible] ثم قيل للقلب [illegible] لان النفس [illegible]
في قولهم [illegible] والمعنى الروح داله للنفس لان قوامها بالدم وللماء
لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى
عين [illegible] كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر
واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس
وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين
لما كانا كالمشيرين عليه الامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين
والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم
لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم
وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه
واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم
كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف
وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في اضدادها

بما كانوا يكذبون

نقايض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل
والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلعم والمؤمنين
غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله واصفح فوالله
لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد به ما تداخل قلوبهم
من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما
كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواؤه تخفق ايا
ما ثم يقر فضعف حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار
دين الحق على الدين كله واما لجراتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت
جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة
المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كما انزل
على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله
هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده
الى السورة في قولهم فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا وكلما
زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصانا من اطراف الارض ازدادوا

حسدا

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم
جبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي
مرض ومرضا بسكون الراء اليم اي مؤلم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به
نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة
للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه
رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم
ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو
وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به ومن
ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ
يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب
كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص
او بمعنى الكثرة كقوله موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في
امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافقين كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة
واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ

لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والفساد
خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه
الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض
هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا في الارض وانتفاء
الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية
قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت
بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم
كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم
واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك
من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل
لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم
الى ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد
او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون
ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها
من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف
النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا
دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في

هذا المنصب

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

هذا المنصب في التحقيق لانها لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى
به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي
ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما
في كلمتي الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
وقوله لا يشعرون من جهة الاستئناف والتوهم في النصيحة من وجهين
احدهما تقبيح ما كانوا عليه من الصواب وجره الى الفساد والثاني تبصيرهم
الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان
من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك
تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى
لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح
هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل لهم
هذا القول او هذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف
ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما
ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن
رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله
بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن
اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية

وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن

او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم
في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى
الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فيقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس
وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرف اعرق
الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء
والمراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا
ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها
ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين
فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم
او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم
من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من
الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل و
خفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها
بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على
الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة
واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد
في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا

عند العرب

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر
والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان
ذكر العلم معه احسن طباقا ساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول
قصة المنافقين فليس بتكرير لان ذلك في بيان مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم وفي هذه بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من
التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم
انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم
وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر
فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم اخذ بيد
علي عليه السلام فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
صلى الله عليه وآله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا
عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري
وملاقي ومراقي وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا
انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك

ومضى منك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو
من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه
اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون
الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على
اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح
والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا
معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم
المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به
المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث
الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان
غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لم تساعدهم عليه اذ ليس لهم
من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة
وايمان واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف
يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين
مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله تعالى قول المؤمنين ربنا
اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات
على اليهودية والقرار على الاعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على

صدق

صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك
فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت
انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان
قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد
للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه
معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم
فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن
مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء
وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت
فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت
لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب
والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ
غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة
عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى
بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم
حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر

في ما يدعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم مبطنون بادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدا قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف
على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل
هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له
في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله تعالى
هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم
باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما
نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد
وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة او لا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار
وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه
ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض
اذا استصلحتها بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله
بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد
دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد

قراءة

قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي
بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز اسناده الى
الله تعالى مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم
في الغي قلت فيه وجهان احدهما ان يحمل على انهم لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه تزايدت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها
تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسنده
الى الله تعالى لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء
واما ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين
اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله تعالى ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ
وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله
الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على
مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء
من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي
في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت
اي نكتة في اضافته اليهم قلت ان فيه ان الطغيان والتمادي في الضلالة
مما اقترفته نفسهم واجترحته ايديهم وان الله تعالى بري منه ردا

الكفرة

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

لاعتقاد الكفرة الذين يعتبرون ان آية انه ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم
عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما
اسند المد اليه على الطريق الذي مر آنفا في الطغيان اليهم ليميط الشبهة
ويقلعها ويدفع في صدور من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند
المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في
الغي. والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة
وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي
لهم ولا دراية بالطرق وسكك ارضا عمها ولا منار بها ومعنى اشتراء
الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء
فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وزعم وقال
ابنه عز وجل وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون
لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا
الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه
في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم
هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير
للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف
والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها
من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف
اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو
ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين
فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي
قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا واردت
زيدا المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة
بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم
مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا
وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن
لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو
قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك
روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة
تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه لما رأيت النسر عز ابن
دأية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم
بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في امه فما ام
الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله

تنفقناه بالحبل التوام اى اذا دخل الشيطان فى قعالم استخرجناه من نافقائه
بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت خلقها اصطدنا فى ازالة
غضبها واماطة بالسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق
ثم الحبل التوام فلذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما
يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت
ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذى يطلبه
التجار فى متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين
لم يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به
من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس
ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون
العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة
فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل
والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق
حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب
كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابى ولامر
ما اكثر الله تعالى فى كتابه المبين وفى سائر كتبه امثاله وفشت فى كلام رسول الله
والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها

للناس

ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون

المراد بالمصدر هو الاول الذى وقع صفة للعقل او لا وبالصفة هو الثانى الذى وقع فيه العقل

للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال
والمثل فى اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا
بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم
حوفظ عليه وحمى من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذى استوقد
نارا وما مثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كانه قيل حالهم
العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى
وعد المتقون اى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة
ثم اخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اى الوصف الذى له
شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التورية اى صفتهم وشأنهم
المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير
والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فان قلت كيف مثلت الجماعة
بالواحد قلت وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى
خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع
القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما

ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم
ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا
ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين
والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة
لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن
واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا
على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم
منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد
ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود
النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد
وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل
نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة
واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك
قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية
ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على
المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن
ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار

ويجعل

ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان
ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه
للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب
لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني
انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة
الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات
لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد
بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله
خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء
خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب
محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم
لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض
سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له
ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان
فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما
جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى

اوى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله فى قوله ذهب الله بنورهم
قلت اذا طفئت النار بسبب سماوى ريح او مطر فقد اطفاها الله
تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد فى
هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله تعالى ثم اما ان تكون نارا مجازية
كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها
قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا
حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى
ويهتدوا بها فى طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت
كيف صح فى النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت
هو خارج عن طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل
ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان
الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم
الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور
عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم فى ظلمات
والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف
نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها
شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة

قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة
عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه
وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا
استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به
اذا الذهب بكل آله بالخلق ومنه ذهب به الخيلاء والمعنى اخذ الله
نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ وقرا اليمانى اذهب الله
نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك
ظبى ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى
افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه
قوله وتركهم فى ظلمات اصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين
والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية
وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليمانى فى ظلمة على التوحيد
والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المطرح الذى لا يلتفت
الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد
اصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون فان قلت
فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت فى انهم غب الاضاءة

وعصم ... ينقضهن قوله ... جزر بالفتح والكسر ... جزر السباع اللحم الذى ياكله ...

[illegible]

صم بكم عمي فهم لا يرجعون

خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في
حال المنافق وهل هو ابدا الا حاير خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤا
به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه
الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب
السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله تعالى على اسرارهم
وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد
الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم
اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي
باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها
على قلوبهم بذهاب الله تعالى بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار
للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم
وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا
كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس
والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء
عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريد
واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار
فان قلت كيف طريقة عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث

للشجعان

للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء
وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول
رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير وقد جاءت الاستعارة في دجا الاسلام
واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه
والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم
المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام
خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى
الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه
صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء و
لبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل
وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك
الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم
لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا
عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم
لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا
غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز
فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة   وحي الملاحظ خيفة الرقباء   ومما ثنى من
التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا
الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمة
كيف صنع في قصيدته   اذاك ام نمش بالوشي اكرعه   اذاك ام خاضب
بالسي مرتعه   فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا
واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا
شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق
قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض
بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة
اهل الاسلام بالصواعق والمعنى اوكمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم
السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء
باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى
والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس

كان

يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت

كان قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالي   قلت
كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء
البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المتفرقة
لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل
بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا
بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن
وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض
تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده
من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر
بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد
بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف
وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت
حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في

خبطوا

والله محيط بالكافرين

في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدّره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيّب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا عليّ أولي حرف التشبيه مفردا يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بيّن في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخّر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب

معناه

معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيّب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيّب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيّب وتنكير صيّب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيّب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيّب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء كما في قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيّب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امدّ ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من زعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لان

اوله فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها

[illegible]

اعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام
السحاب تضطرب وتنتقض اذا اخذتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت
قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو اما ان يراد به السحاب او المطر فايهما
اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمة سحمته
وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه
بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون
المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا
في اعلاه ومصبه ملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول
فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع
الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده جمع برد
يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال
رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك
جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل
وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وجاز رجع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب

درخشنده که چشم را خیره کند

مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون
لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان
كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر لان
المعنى ماء بردى ولا محل ليجعلون لكونه مستانفا لانه لما
ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان
قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم
في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤس الاصابع هي التي تجعل
في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة
التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا
ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا
ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت
فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام
دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى
بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة
والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه
الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في
ذلك

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه

العهد وانما احدث بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك
سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شعلة نار لا
تمر بشيء الا اتت عليه وهي نار لطيفة حديدة لا
تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت
على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه
قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب من الصواعق
لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد
بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب
مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في
التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصعة الرعد او للرعد والتاء
للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن
ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم
ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس
معاقب للحيوة واحاطته تعالى بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها
والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح

واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم

وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف
وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف
وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف
ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته
وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه
من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق
خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله
لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد
بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد
بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن
ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو
سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما
ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان
المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف
والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله

إن الله على كل شيء قدير

وجاء في شعر حبيب بن أوس هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما
عن وجه أمرد أشيب وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة
فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء
الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى
قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء
جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب
بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد
لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت أن أبكي دما
لبكيته وقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا ولو شاء الله
لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق وقرأ ابن أبي عبلة
لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والشيء
ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري
أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على
كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن
الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء
أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت كيف قيل على
كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

ای مردمان بندگی کنید پروردگار خود را آن پروردگاری که بیافرید شما را

قلت مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى
في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير
ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان
من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق
القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به
عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما
يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين
وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت
لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه
ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم
الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك
ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى
إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة
هازا من طبعه لا تجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش

فقصصت

والذين من قبلكم لعلكم تتقون

الا انفس للقبول وتلقيها بالاسناد وصح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شي انزل فيه
يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله
لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله
اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له
منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن
بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في
جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد اسمع به وابصر
قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى
وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا
عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع فرط التهالك على استجابة دعوته
والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان
ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف
بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه
اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه
حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا
ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا

التدرج

التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه
المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته
بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت
لم كثر في كتاب الله تعالى النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت
لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله تعالى
له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده
واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم
وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا
بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها
الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي
عن علقمة والحسن والمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل
هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت ممن تسأله فهو قائم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت
المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها
واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط
على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد
للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل

الآية وكان في لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله تعالى ويعترفون به ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن قلت قد جعلت قوله اعبدوا شاملا للمؤمنين مع
الأمر بالعبادة والأمر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا
آخر فإن قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين
ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم مشترك
فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا وكان
قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد
به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا
يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح
والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها
بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم
وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على
إشكالها أنه أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما
أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول
وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه
في قولك لا أبا لك ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيدا يكرمني
ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى ولعل الساعة قريب

ألا ترى

ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع
في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما
يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال
إن لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك
وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا
في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها أن يقولوا عسى ولعل و
نحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة
أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب
ما عنده شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك
الملوك ذي العزة والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق
لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا
عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم فإن قلت فلعل التي في الآية
ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لأن قوله
خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تعالى تقواهم لأن
الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين
للتقوى ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع
المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف

قوله وأيضا فمن ديدن الملوك عطف على قوله لأنه إطماع من كريم رحيم سعد الدين

قوله أو يجيء على طريق الإطماع عطف على قوله فعلى مثله ورد ... الإطماع فيما هو تحقيق للإطماع سعد الدين

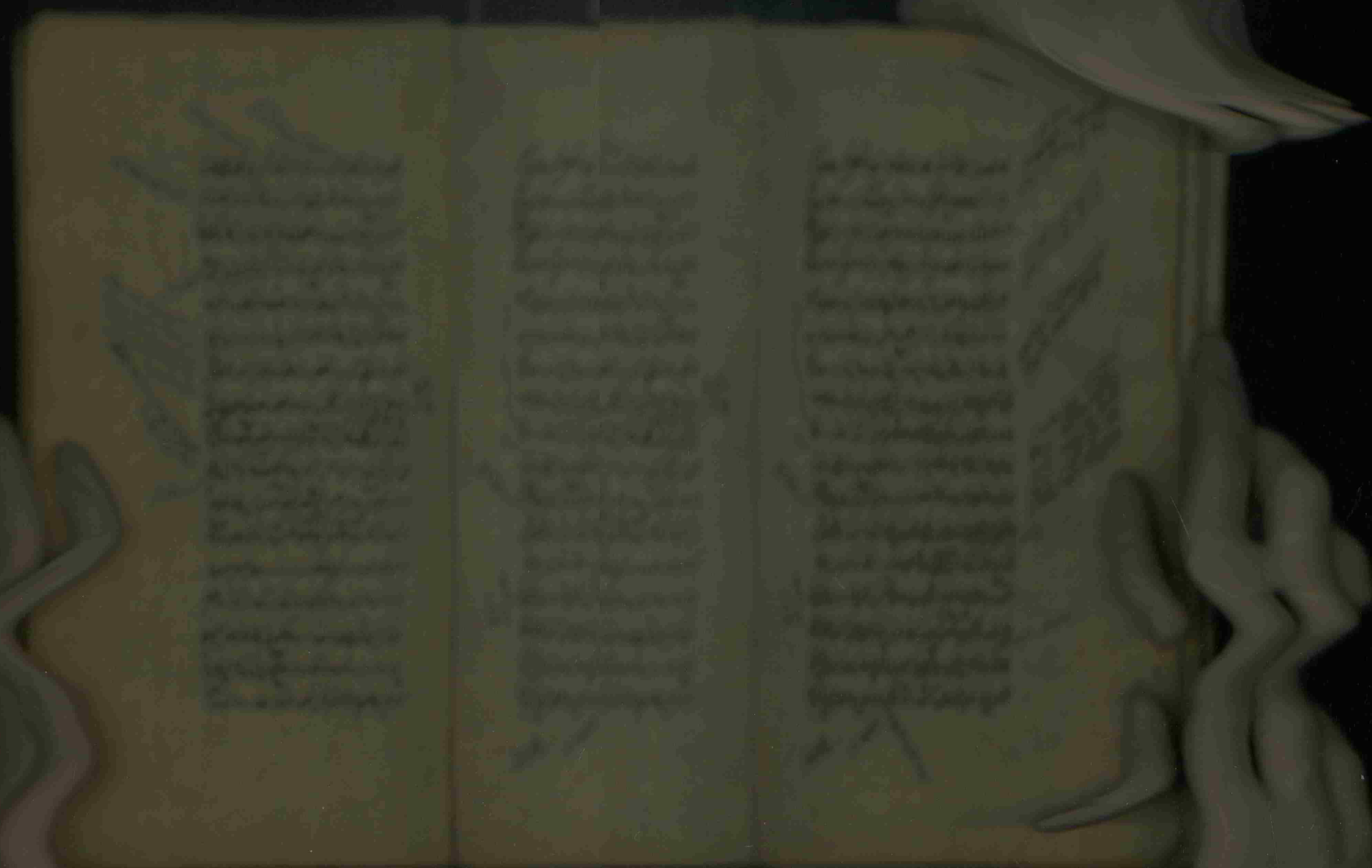
لئن يخلقهم صح

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم

وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم
وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد
منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ترجح امرهم وهم
مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل
وان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر
من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار
فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم
لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين
على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت
فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب
طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى
تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال
اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة
كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت في النفوس
ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب لم يقع في نفسه ذاك الموقع
قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر خلقهم احياء
قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمها والسبب في التمكن

من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم
الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم ذكر
خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار
ثم ذكر ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة
بانزال الماء منها عليها والاخراج به من الاشياء النسل المنتج
من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك لهم معتبرا ومتسلقا الى
النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها
بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم
وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها
فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا
المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر
والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم
او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في
النصب من المدح وقراءة يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى
جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه فان قلت هل فيه دليل على ان
الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها

فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون



كما يفعلون بالمفارش سوآء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش
غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان
متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض
اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية
العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها
خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت
بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها
كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب
ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا
لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها
لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة
وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير
تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل
الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه
وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء
فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة
المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات

ولا جعل الرزق

ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت
من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من
للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كانت مفعولا
لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات
دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات
جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره
ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي
مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها
في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة
محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق
ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا
اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق
بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العباد
واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل
على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي
ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية
حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه ولا تشبهوه بخلقه

ام رزقا كائنا لكم

او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خلقكم وهذه
الاية العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له
شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير
اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل
خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله
ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون
اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون
انها تخالف الله تعالى وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها و
سموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم
وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا
اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد
بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله
فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم
من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور
وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة

لا تدفعون

لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة
لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول
تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ
فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم
من جعل الاصنام لله عز وجل اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل شيئا
مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج
عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلمهم
الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر
عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة
على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وما يدحض الشبهة في كون القرآن
معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من
عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم
وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا
على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل
التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم

منجما مفصلا ومقطعة

طباعهم سرشتهم

ذقت الشيء اذا جربته ... المنظر ما شده

تنزيل بعضى از جاهاى ...
يا ناشى از جاى خود ...

كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله تعالى مخالفا لما يكون من عند
الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات
على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة
والشعر من وجود ما يجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا وحسب ما يعن
لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقى الناظم ديوان شعره
دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله عز وجل
لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله عز وجل وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا
الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه
وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات
متفرقات وهذا غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وامته والسورة الطائفة من القرآن المحدودة
المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان
تسمى بسورة المدينة وهى حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة
على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس
من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة
التى هى الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارى
وهى ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها
وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن الهمزة فلانها قطعة
وطائفة من القرآن كالسورة التى هى البقية من الشىء والفضلة منه فان قلت
ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك
واحدة ولامر ما انزل الله عز وجل التورية والانجيل والزبور وسائر ما
اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون
في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس
اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان
يكون بيانا واحدا ومنها ان القارى اذا ختم سورة او بابا من الكتاب
ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه
لو استمر على الكتاب بطوله ثم اخذ في آخر ومثله المسافر اذا علم انه قطع
ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم
جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ
اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله سبحانه وتعالى طائفة
مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه
ويغتبط به ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران

حذو فيها ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظاير وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحق المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى نظير ومثل هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله تعالى فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وآله

فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا

فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم للمؤمنين واعتداد بعلمهم

انه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب
وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما
موصولا بمعنى الذي فيكونا كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكونا كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء
وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله
والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق
الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال ما رأيت
خير اي المرئي خير وفي جواب ماذا رأيت خيرا اي رأيت خيرا وقرئ
قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب جميعا
ماذا اراد الله بهذا مثلا الارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء
اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى
يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في
ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد
وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله
هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها
والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا
استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا
لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا

اردت بهذا

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى
التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق
الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب
الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من
باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون
بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل
مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير
في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى
اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا
في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا — ونحوه قال
كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب
لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم
وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد
فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة
فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير
وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
يصف ابلا فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله

بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اى بين منزلة المؤمن والكافر
وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطا وكونه بين بين ان حكمه
حكم المؤمن فى انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين
وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له
شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزى خلفه ويقال
للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض
الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض فى ابطال
العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات
الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله
ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك
ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء
المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه
ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة
فاستوثقها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة
بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه فى كذا اذا وصاه به ووثقه عليه
واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله
احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم والكفار جميعا فان قلت فما المراد
بعهد الله قلت ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه

عليهم

عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق
عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقوله
فى الانجيل لعيسى عليه السلام سانزل عليك كتابا فيه نبأ بنى اسرائيل وما اريتهم
من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذى واثقوا به وما ضيعوا
من عهدى اليهم وحسن صنع الذين قاموا بميثاقى واوفوا بعهدى ونصرى اياهم
وكيف انزل بهم نقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان
اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وآله من التحريف والجحود وكفروا به كما
كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض
ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذى اخذه على جميع
ذرية بنى آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير فى ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به
عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته عليهم كما
ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اى
من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى
قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل
قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى ايمانهم

أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم

ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر
يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان
الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها ومعنى
الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعوا
الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح
فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما
الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة
المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين
امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف
عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال
الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار
حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق
الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال
ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو
في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال
جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم يدخل الواو على كنتم

امواتا

ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون

امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله
وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء
ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد هذه الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا
حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت
هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها
وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم
بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار
وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب
كفركم مع علمكم بهذه فان قلت لم تحصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم
ثم يميتهم فلم يحصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما
بالدلائل الموصلة اليه وكان بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم
جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم
الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون
استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء
الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به
النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء
والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء

فعقد تراخي على الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا
متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها
مشتمل على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت
يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لان
ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني
فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير
بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع
المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد
استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات
في العقل خلقت على الاصل مباحة مطلقة لكل احد ان يتناولها وان يستنفع بها
فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت لا الا
بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك
فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني
والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه
استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض
من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل

ثم استوى

فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ٭ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة

ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا
وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول
ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن
وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في
الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما في
معنى الاستواء الى السماء تناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم
ههنا لما بين الخلقتين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي
في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم
ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في
تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك
دحيها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر
وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها
الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب
بقالوا والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء
لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في
الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض
فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة
آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحده لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان
يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض
فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا
فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت
استخلافهم وقيل لتعليم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها
على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل
الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب
قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم
الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين
على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك
بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن
الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في
موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا
بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح
في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت فهل بين لهم تلك المصالح قلت كفى
العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن
والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها

واشتقاقهم

قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين

واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب
وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون
على فاعل كآزر وعابر وعاذر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء
كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء
لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت
هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات
الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني
بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء
المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير
وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم
وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين
يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم
وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون
لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم
في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار
لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح
وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها
والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبئهم

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس

بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود تذلل على
ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز
لم يجز لاختلاف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع
ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباعية الا في لغة ضعيفة كقوله الحمد لله
الا ابليس استثناء متصل فانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بينهم
فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا
ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه اسكن من السكنى [illegible]
من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا
وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة
شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين
لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر
في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة
فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي بالياء والشجرة
بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها
برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصيتهم
فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي حملهما
الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه
مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب

فازلهما الشيطن عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

او قيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل
عن مرتبته وزل عني ذلك اذا ذهب عنك وزل عن الشهر كذا او قرئ
فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة
في عنها وقرئ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان
الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل
الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت
يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقرب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع
ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل كان يدنو الى السماء
فيكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وروي انه اراد الدخول فمنعه الخزنة
فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لادم
وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحوا والمراد هما وذريتهما
لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه
قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس
كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي و
تضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار
ومتاع تمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم
ورفع كلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت
قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله
ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك
قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال
بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى
بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء
في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب
عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد
ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب
الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان
قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه
اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا
في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك
واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان
بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسول وانزال الكتب وانه

ان لم

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون

ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب
فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت
فالخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء
وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج
من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة
باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك
لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج
من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع
هدى على لغة هذيل فلا خوف عليهم بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام
لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم
واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال
وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا
مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون
وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك
وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد المبشر به في التوراة والانجيل
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي

وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت
بعهدك اى بما عاهدتك عليه ويعنى واوفوا بعهدى واوفوا
بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن اوفى
بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم
واياى فارهبون فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته
وهو اوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوفّ
بالتشديد اى ابالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله
خير منها ويجوز ان يريد بقوله اوفوا بعهدى ما عاهدوا عليه
ووعدوه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول
من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول
كافر به كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا وهذا تعريض بانه
كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم
كانوا المبشرين بزمان من اوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا
وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان
امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق

الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعنى من
اشرك به من اهل مكة اى لا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التوراة
موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما
معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا الاشتراء استعارة
للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم
اذ تنصرا وقوله فانى شريت الحلم بعدك بالجهل يعنى ولا تستبدلوا
بآياتى ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا
لرسول الله صلى الله عليه وآله فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير
بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما
بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من
زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع
وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا الباء التى
فى بالباطل ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ
وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق
المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت
باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا الحق جزم داخل
تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار أن والواو
بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك
لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا
بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لان المراد بلبس الحق
بالباطل كتمان الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل
ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان
يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك
او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون
بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح
لهم لان الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود
لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في
دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود
وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا
الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتأمرون الناس بالبر
تقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم والبر التوسع في الخير والمعروف
ومنه البر السعة ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت
وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم

وانتم تعلمون ح

باتباع

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

باتباع محمد صلى الله عليه وآله ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة
ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقة ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن
واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا
لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها
ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون
التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وآله او فيها الوعيد على الخيانة وترك
البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون
لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا
العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من
دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر
والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة
متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات
ودفع الوساوس ومراعات الآداب والاحتراس من المكاره
مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار
السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى
وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب
بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم
وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما

الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون

الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة
وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر
ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر
والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير
للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها
بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل
قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم
الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون
لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله
يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على
حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن
بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين
والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع
اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر
ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف عامل يتسخره بعض الظلمة
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت قرة عيني في الصلوة
وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها

اذا لينته

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل ولا هم ينصرون

اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي (اي تفضيلي اباكم على العالمين)
على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين
يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيامة لا تجزي
لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع
مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزي من
اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء
وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة
المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت
هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تحق الى الحدر
ان تقبلي اي ما اجدر بان تقبلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع
فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من
قولهم ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن
نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع
وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية
لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل
اي توبة وفدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود
تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ

هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه
نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى
ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل الشفاعة للعصاة
فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت
الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل
ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها
ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل
شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا لما اخذ منها
ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة
والتذكير لمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس واصل آل اهل
ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي
الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك
الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح
بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه
وقرئ انجيتكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر
الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله

من سوء الخلق

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره
يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله
يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف
كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما
فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود
يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما
في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم
الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا
بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى
فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان
المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى
بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق
الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين
بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم
وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس
بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي
ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا

فرعون و نمرود

اوله
وخيل تغتدي ولعت بها الخيل

الترب عظم الصدر

وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَاِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلَى بَارِئِكُمْ
فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ

فانهم على طريق من طرقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم
اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك
هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا و
تسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه
لا تشكون فيه ولما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون
ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه
التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر
اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا
لان الله وعده الوحى ووعده المجيء للميقات الى الطور
اى من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم
عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك اى من بعد ارتكابكم
الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة
ان تشكروا النعمة فى العفو عنكم الكتاب والفرقان يعنى
الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل
يعنى التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل
الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعنى الكتاب الجامع بين
كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق

بين الكفر والا

بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع
الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل
النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر
وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه
قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة و
روى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم
يمكنهم المضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ
الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد
طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم
الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل
البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت
الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت
ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم
سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة
فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم
ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا

وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ
الصَّاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ

فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف
ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه
قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم
على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب
عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ
قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفكك ما ركبه
من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة
في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها واذ
قلتم قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة
آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة و
بالدعاء فكان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى
بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية
فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال

والصور المتناسبة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي ذرأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة م عمط النعمة بتركها و لم يشكرها

السبعون

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

بمعنى ذي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر
وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام راجعهم القول وعرفهم
ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله
الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة
ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم
الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة
على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار
وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله
جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام
لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر
انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي عليه السلام
فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت
او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة
واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه
سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل عمود من نار بالليل م
يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن و
هو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع
ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها

ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

ما يكفيكم فكلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه الباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبر على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غير الذي قيل لهم اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به

يحتوا يخبتوا

فروتني

ولم يمتثلوا

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ۝ واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم

ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه وعطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في المعجزة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا

كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين. واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها

الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل
كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان
وقيل كان من الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان
تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف
اي فضرب فانفجر او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم
وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على
ارادة القول من رزق الله ما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء
العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب
والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم
لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه
من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد اراد واحد ما رزقوا
في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام
واحد اراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما
ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة
اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة
كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض

قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق

من الخضر والمراد به اطائب البقول التي ياكل الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها وقرئ قثائها بالضم والفوم الحنطة
ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة
وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال
هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد
المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرئ ادنا من الدناءة
بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من
التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس
الى قنسرين وهي اثني عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما
صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه
كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب
واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا
مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت
عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة
من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه
فاليهود صاغرون اذلاء اهل المسكنة والمذلة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله رجعوا به

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بفلان اذا كان حقيقا بان يفعل به وارته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه
ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك
بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء، وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم
فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم
قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا
وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم
لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي عليه السلام ويقتلون بالتشديد
ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم
حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء، وقيل هو اعتداؤهم
في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب
عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا
على جحود الآيات وقتل الانبياء، او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين
آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا
والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة
قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم
نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا
عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة

ايمانا خالصا

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا
ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم
ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت

ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم
الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع
ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان
والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم
والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة
ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق، وذلك ان موسى عليه السلام
جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم
وقال لهم موسى عليه السلام ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على
ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء
منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم
وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد
للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت
في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت واذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر

من الاصار ماخوذ من الاصر بمعنى الثقل والمشقة ١٢

بعد اخذ اي اخذ الميثاق ١٢

ماحل ذكر محمد صلعم ودعوكم الى الحق وهديكم اليه

فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد
فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعنى المسخة نكالا عبرة تنكل
من اعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل وهو القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها ومنه النكل للقيد
وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا
واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من
القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من
ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء
من صالحى قومهم او لكل متق سمعها كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله
بنوا اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا
هزوا أتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط
الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ فى مثل هذا من باب الجهل والسفه
هزوا بالضمتين وهزا بسكون الزاى ككفوا وكفؤا وقرا حفص هزوا
بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واحد فى قراءة عبد الله
سل لنا ربك ما هى سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا
من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة
العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت

البقرة ٢٠
اسباب البوات فرضا

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين

فرضا قال خفاف بن ندبة لعمرى لقد اعطيت ضيفك فارضا
تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها
اى قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال
نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضى شيئين
فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه فى معنى شيئين حيث
وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به
الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك
على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا فعل نائبا
عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا
كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة
فى هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق
كانه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد
والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذى حسن منه
ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
وكذا الموصولات ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى
ما تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون

يقع في التوكيد صفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق
ولعق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك
رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت
لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة
وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في
ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه
قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن
وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها
سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن
صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف
زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وآله لو اعترضوا ادنى بقرة
فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض
الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم

فكتب اليه

قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث

فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي
نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة
سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان
اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني
وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته
ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها
في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة
ان الباقر يشابه بالياء والتشديد وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم الى الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون
الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة
لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض
ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي
والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على
ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي
وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت

بعوامل الحيل والاحيان اي فيهم اوجبت بهم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى
مسلّمة سلّمها الله تعالى من العيوب او معفاة من العمل سلّمها اهلها فيه كقوله
او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون
من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها
لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها و
ظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا
آخر ومنه ثور موشّى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة
وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصّلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم
وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت
تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
ما كادوا يفعلون وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ
صالح له عجلة فاتى بها الغيضة قال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
وكان برا بوالديه فشبّت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت

كانت البقرة

كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم
مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت
رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على
الحظ لكان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها
ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان ممتثلا له فكذا
اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم
فادّارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم
بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فتدافع
المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا
عن البراءة والتهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من
امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت
قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه
وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم
وفقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص
والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها
ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن
اصل الذنب

كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف
ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وقد روي انهم لما ضربوه قام
باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه
ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله
الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم
كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء
لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا
البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله
فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها
قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة
من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم
القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين
في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها
على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة
والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل
الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة

ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار الفتي السن
غير القحم ولا الضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما
يروى عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ
قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم
بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين
الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها
وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص
من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها
ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع
من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة
الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية
العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة
واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف
قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في
قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج
الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم
انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها كالحجارة مثل الحجارة او اشد قسوة منها
واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال
عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان
من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد
مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة
فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل
وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه
آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة
كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ
قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم
وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة
في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان
بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة

ومنها

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ
مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة
لما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما
ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط
يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله تعالى وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد
ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد
افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط
يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون
كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله
صلى الله عليه وآله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم
قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه
الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله
من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة
في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفروا هؤلاء

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون
أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب
إلا أماني وإن هم إلا يظنون

وحرفوا التوراة فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود منافقوهم قالوا
آمنا بأنكم على الحق وأن محمداً هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا
إلى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله أو قال المنافقون لأعقابهم يريدونهم التصلب في
دينهم أتحدثونهم إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فينافقون المؤمنين
وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا ترى أنك تقول هو في كتاب الله هكذا أو هو
عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر
وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتابة فيطالعون التوراة ويتحققوا
ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم والتزامهم أن الله يعفو عنهم
ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنيهم
أحبارهم من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال الأعرابي لابن دأب في شيء
حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل إلا ما يقرؤون
من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة والاشتقاق من منى إذا قدر لأن
المتمني يقدر في نفسه ويحوز ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا
بعد كذا وإلا أماني من الاستثناء المنقطع وقرئ أماني بالتخفيف ذكر العلماء

الذين

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكسبون وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم
عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيفاء ثم العوام الذين قلدوهم
ونبه على أنهم في الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي
أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بأيديهم
تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه كتبته بيمينك من
مما يكسبون من الرشى أياماً معدودة أربعين يوماً عدد أيام عبادة
العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة و
إنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره
إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم إما أن تكون
معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع
بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة بلى إثبات لما بعد حرف النفي
وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون
من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر وأحاطت به خطيئته
تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ
خطاياه وخطيئاته وفيه في الإحاطة كأن ذنبه غلب على طاعته وسأل
رجل الحسن فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف
فكل آية نهى الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة
لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ
وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ
مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه
ويعضده قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول
عليه لفظا قوله وبالوالدين احسانا اذ التقدير وتحسنون بالوالدين
او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه
ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان يكون
ان مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل
اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما
خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط
حسنه وقرئ حَسَنًا وحُسنى على المصدر كالبشرى ثم توليتم
على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا
قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل
اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم

بالميثاق

ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ
تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ
تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل
وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا
الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل
والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم و
شهادتهم والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني
انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة
منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها
وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي
تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى
وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسره اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال
والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ

حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحي ان نذل
حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل
الجزية واشارة من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه
اشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم
عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرون احد بالدفع عنهم وكذا
عذاب الآخرة الكتاب التورية اتاه اياها جملة واحدة و
يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه
به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل
ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء كالزير من
الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن
مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في
الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات
والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار

بالمغيبات

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ

بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يق
الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس
بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة
وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبرئيل
وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم
ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به
فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من
شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم
ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر
فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان
يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في
النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم
بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وآله عند موته ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا

أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به
محمد صلى الله عليه وآله ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن
كقولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم
مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق
بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم
بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع
الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون
فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهي إيمانهم ببعض الكتاب
ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف مخفف غلف جمع
غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن
غيره وروي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله
هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا
على الحال فإن قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت إذا وصف
النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله
من عند الله وجواب لما محذوف وهو كذبوا به واستهانوا بمجيئه
وما أشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين
إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان

الذي

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا
أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب
على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما
أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه
وهو الحق مصدقا لما معهم

الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين
قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم
وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث
منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح
عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح
عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين أي عليهم وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن يكون
للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا بئسما اشتروا ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به أنفسهم والمخصوص
بالذم أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم
وهو علة اشتروا أن ينزل لأن ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه
على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي
حكمته إرساله فباءو بغضب على غضب فصاروا أحقاء بغضب
مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد صلعم
بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله ويد الله مغلولة وغير
ذلك من أنواع كفرهم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله مطلق

قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم
موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين

بما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيدا بالتورية
ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية
وهو الحق مصدقا لما معهم حال مؤكدة وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا
بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع
ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون
يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة في غير موضعها
وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور
لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا
ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان
قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم
اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن
لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص
على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم
قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجل
واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك
وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك

في ايمانهم

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين

تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال
من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد
سواكم فيه حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول
الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين
بالجنة وما روي كان علي عليه السلام يطوف بين الصفين في غلالة
فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك
على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت
فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على
التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا صلعم
وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي
صلعم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي
على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات
النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر
والعصيان وقوله لن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب
وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم
لن يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث

ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود
أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب
أن يعمر والله بصير بما يعملون

ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن في الإسلام
أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك فإن قلت التمني من أعمال
القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا قلت
ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا
إذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في
الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا
الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت لم يقولوه لأنهم
علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من أشياء قاولوا بها
المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما
علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت لأنهم
ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن التمني من أفعال
القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في
قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه
بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف
لا سبيل إلى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدا
ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لم قال على حيوة بالتنكير
قلت لأنه أراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك

كانت

كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحيوة ومن الذين
أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس
فإن قلت ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا
بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا
فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين
أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو
مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فإن قلت لم زاد حرصهم
على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون
إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين
أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف
مهرجان وعن ابن عباس هو قول الأعاجم زي هزار سال وقيل
ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على
حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على
هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما
هو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر
بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين من كان عدوا
لله وملئكته ورسله وجبريل و
ميكال فان الله عدو للكافرين

والانجيل، فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هي حكاية لودادتهم
ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمّر الا انه جرى على لفظ الغيبة
لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا
لجبريل الى للكافرين روى ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك
حاج اي نازع رسول الله صلعم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي
فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك
وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم
عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر ارض
باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم
ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك
قال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما
ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم
ثم سألهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب
والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة

جبرئيل

جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل
فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان
عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي
فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر
لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل
على وزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف
الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة و
جبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع
الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في
نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل
على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك
اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت
كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاء على حكاية كلام الله
بما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان
عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام
قوله فانه نزله على قلبك جزاء للشرط قلت فيه وجهان

ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون

ان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه
وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والآتي
ان عاداه احد فالسبب في معاداته انه نزل عليك القرآن
مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك
ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افراد الملكان بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف
نزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار و
ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل
كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت
بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر
ليدل على ان الله عاداهم للكفر وان عداوة الملائكة كفر واذا
كان عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى
من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العذاب
آيات بينات ... الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة
وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك
النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلعم

ما جئتنا بشي

ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء
ظهورهم كانهم لا يعلمون

ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل
الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا
بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابن السماك بسكون الواو
على الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا
الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله
صلعم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله
نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل
اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء
فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما
جاءهم رسول الى آخره كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم
برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل
كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين
ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه

وقرء ابو السماك

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله

وقيل ما يؤتى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة الالتفات اليه

وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذوا اي نبذوا كتاب الله

واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه

او تعلمه

ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون

او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرف الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوه وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساطون وقد ذكر وجهه

ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت
وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا
من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا
طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المر بضم الميم وكسره مع
الهمزه والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج
واجرآء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح
النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت
كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من
المجرور فان قلت كيف اثبت [لهم] العلم اولا في قوله ولقد علموا
على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم بقوله لو كانوا يعلمون
قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين [لم] يعملوا
بعلمهم كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من
عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه
والقرآن واتقوا الله وتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع
كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة
ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه ولقد
علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت
الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من
الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع

في سلام عليكم

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم

في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت
لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم
آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم
واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من
عند الله خير يا ايها الذين آمنوا كان المسلمون يقولون لرسول الله صلعم
اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون
بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين
راعنا افترصوه وخاطبوا به رسول الله صلعم وهم يعنون به تلك
المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا
من نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى
نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن
وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن
بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا
في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم
به رسول الله صلعم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعات او واسمعوا
سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

حيث قالوا سمعنا وعصينا سعد بن معاذ سمعها منهم فقال
يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وآله
لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت وللكافرين
ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسبوه عذاب
أليم ما يود الآية العظيم من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته
نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل
الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة
لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم
فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي والله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة والله
ذو الفضل العظيم إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم
كقوله إن فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ إلى ولا نصير روي أنهم
طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم
عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت
وقرئ ما نُنسخ من آية بضم النون من النسخ أو ننسأها وقرئ
أو نُنسّها بالتشديد ونُنسها وتَنسها على خطاب الرسول
صلى الله عليه وآله وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا
رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

وقرأ أبي فيه ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال
أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها
منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل
وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية
نذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما
معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأت بآية خير
منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها
في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه
وعلى مثله في الخير له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم
ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلح لكم وهو أعلم بما يتعبدكم
به من ناسخ ومنسوخ لما بين أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب
مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله
ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم
به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء
اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا
عليهم كقولهم اجعل لنا إلها أرنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل
الكفر بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي أن فنحاص

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ
فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة
بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم
ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم و
افضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما
انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا و
بالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا
رسول الله صلعم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت
فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم
وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل تشهيهم لا من قبل
التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم
انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا
فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة
حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني
النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير

بم

انفسهم

فهو يقدر

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ
هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ

فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلوة او صدقة
او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير
عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب اليهود
والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين
ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم
من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه
وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ بالذال المعجمة
وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر
قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا
الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرا ابي بن كعب الا
من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقوله
لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة
وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم
اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه
والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم

قولهم

اي تلك الاماني الباطلة امانيهم

بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم
وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو
باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة ها في معنى أحضر بلى إثبات لما نفوه
من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به
غيره وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم
كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم
كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون
من أسلم فاعلا لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله
فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم على شيء أي على شيء يصح ويعتد به
وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء
فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده
وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التوراة والإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن
لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد لصحته وكذلك
كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك أي مثل ذلك
الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب
كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم

ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

وروي أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم
أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم
على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم
نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة
بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله
بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار أن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك
تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن
يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط
في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى و
يمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة
وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية فإن قلت فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب
على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت لا بأس أن يجيء الحكم
عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم
ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة
والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر
أو بتخريب البنيان وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله
ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين أولئك

ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع عليم

المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله
الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله
قد حكم وكتب في اللوح المحفوظ انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها
الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة
وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه
في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا يحجن بعد هذا
العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم
وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك
وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي
او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله
المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها
ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم
شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها

ان منعتم

فان التولية

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات
والارض كل له قانتون

فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في
مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم
عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما
توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة
فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للذكر
والدعاء ولم يرد الصلاة وقرا الحسن فاينما تولوا بفتح التاء
من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو نزلت في
الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض
هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون
منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان
بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين
في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز
ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون
مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء
بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان
ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم
كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يق بدع الشي فهو بديع كقولهم

المراد بما بجملة الملائكة واطلاق الجنة على الملائكة للتحقير والتصغير

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا
آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون

فهو بديع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع
سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو
أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع بمعنى المسمع وفيه نظر
كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام
وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحقي
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت
الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا
يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من
كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام
في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له
وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من
المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا به
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا
منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما آتاهم من آيات الله
آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن
قبلهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد
بينا الآيات لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف
بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم

وتنذر

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي
جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير

وتنذر لا لتجبر على الايمان وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على
الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت
جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ
ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن
السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه
تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا
عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع
ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت
يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا
تسأل وتعضد الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي
وما تسأل كانهم قالوا لن ترضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم
في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان
هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس
وراءه هدى وما يدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى
الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة

الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به
ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون

الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ولا يحرفونه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى
ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه
يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة وهي قراءة
ابن عباس إبراهيم ربه برفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه
بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا فإن قلت الفاعل
في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق الضمير به إضمار قبل الذكر
قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه
أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد منهما إضمارا قبل الذكر أما الأول فقد ذكر
فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه متقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا
ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في إحدى القراءتين
لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير
تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى
بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد

آمناً

وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فإن قلت
ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كان
كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت فما موقع قال قلت هو
على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال ربه حين أتم الكلمات
فقيل قال إني جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة
على ما قبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك
في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق
وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن
الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل
ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام عشر في براءة التائبون
العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر
في المؤمنين وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن
وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه
والنار والهجرة والإمام اسم من يؤتم به على زنة الإله كالإزار
لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على
الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول
وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان ظالما من
ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال

وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا
مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ
اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

م كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق
لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته
ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب
نصرة زيد بن علي وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي
بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت
على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل
فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا
بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة
لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد
جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم والبيت اسم
غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج
والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين
يزورونه او امثالهم واشباههم وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له
حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به
واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة
القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو
على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلعم
انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه

مصلى يريد افلا نوثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ
قدم ابراهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن
جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله استلم الحجر ورمل
ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى
خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى
مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه
الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم
وعن عمر انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة و
المزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي
الحرم كله مقام وقرا واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس من مقام ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته
عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا
او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض
والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين
الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد
بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

لان الرزق الدنيا شامل بالبرية لا الرزق الاخروية

والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود هيئات المصلي اجعل هذا بلدا آمنا اى اجعل هذا البلد
او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا فيه كقولك
ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله
خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف
في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حتى رد عليه قلت
قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء
يختص بمن ينصح للمرعى وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق
فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر
فامتعه فاضطره فالى عذاب النار ثم المضطر الذي لا يملك الامتناع
مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب
فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على
لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف
تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابراهيم اى قال ابراهيم
بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا
ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما
قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم

از رزالته و نا چیزیست

فيها

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

فيها ما يجاورها ولا يدغمهن فيما يجاورهن وهي حروف ضم شفر يرفع
حكاية حال ماضية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسال الله ان
يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها
نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة الذي
يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا
وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ
يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة
مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاس
وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول
عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة
من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام
الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابراهيم ببنائه
وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سبحانه سحابة اظلته ونودي ان ابن

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

على ظلها الا ثم دولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء ولبنان والجودي
واسسه من حراء وجاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس
فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة
فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة
ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله
في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم
وبنياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت
في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح
بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك او
من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم وسلم واستسلم اذا خضع
واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع
كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية مجرى الجمع لانها منه ومن ذريتنا
واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم
احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء
اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء
والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل

اراد بالامة

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ

اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج
او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ
في فخذ وفيه استرذال لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة عليها
فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم
مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابة لذريتهما او
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك
وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وآله قال صلعم
انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة وصدق
انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة و
بيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس
كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار
واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي
هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه استمهنها واستخف بها لان هذا المستثنى مفرغ واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه

امتهنها ل
من المهانة

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
واذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

تقديره غبن الرجل رايه

وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز لكن
في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام
وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقوله زيد ظني مقيم اي في ظني
والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط
فقد بالغ في ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة
ولقد اصطفيناه بيان لخطأ راي من رغب عن ملته لان من جمع
الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا
وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى
بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك
الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن
ملة مثله وقال له اسلم اي اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى
المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن
واطع روي ان عبد الله ابن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد

ومن لم

اوله وما قومي بثعلبة بن بكر
اوله ونأخذ بعده بذناب عيش
اي بهم
قوله فقد ورد في صحيح الكتب [illegible] قال البالغة [illegible] ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام [illegible] سعد الدين

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

ووصى
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت
قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله
اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله
وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف
على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ
ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته
يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق
بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول السيد القائل جلالان ضبة اخبرانا انا
رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم متعلق بفعل
الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن
معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة
عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت
خاشع فلا تنهاه عن الصلوة وليس بمنهي عنها قلت لكن النكتة في ادخالها
لن الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة وكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها
على هذه الحالة الا ترى الى قوله صلعم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتطريح

[illegible] في حال الصلوة [illegible] النبي عليه الصلوة والسلام [illegible]

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون

بقولك لجار المسجد لا تصل إلا في المسجد وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول في الأمر الممتثل مت وأنت شهيد وليس مرادك الأمر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته وإظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها. أم كنتم أم هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ

إذ أراد بنيه

حضر بكسر الضاد

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يكون ما تعبدون سؤالا عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبراهيم وإسمعيل وإسحق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العرب تسمي العم أبا كما تسمي الخالة أما لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالأبينا إلها واحدا بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى أن

علم فرق

ولما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

وما اوتي موسى وعيسى

احد لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلعم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته
كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل
نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا
ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف اليه كقولك
رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين
الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا
خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم
وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة
ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا ملة ابراهيم اي كونوا اهل ملته والاسباط
الحفدة وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله والاسباط
حفدة يعقوب عليه السلام ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد
منهم

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ
فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ
نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ

منهم بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب
التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين
الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين
فقيل فان آمنوا بكلمة التشكيك على سبيل الفرض والتقدير اي فان
حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد
اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه
حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه
هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد
علمت انه لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك و
توقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة
وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي
فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرا
ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرا ابي بالذي آمنتم به وان تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق اي في مناواة ومعاندة
لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم ونحن له مخلصون

في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلعم عليهم
وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين
ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم
اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او
وعد لرسول الله صلعم يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من
اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد
منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ
كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان
يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده
ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم آمنا
وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل
تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم
وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله
صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من اوضار الكفر
فلا صبغة احسن من صبغة الله وقوله ونحن له عابدون عطف على

آمنا بالله

ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن
كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون

آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة
ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم و
اخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد
هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا وقرأ زيد بن ثابت
اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي
من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة
منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو يصيب برحمته وكرامته
من يشاء من عباده وهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا
للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما
ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له
مخلصون فجئنا بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعد ان
يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان يكون النبوة فينا
لانا اهل الكتاب والعرب عبدة الاوثان ام تقولون فيمن قرأ بالتاء ان يكون
ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة
الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما
وان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا يكون
الا منقطعة ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى
شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم
لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى انا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وآله
بالنبوة فى كتبهم وسائر شهادات الله ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها
فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله
سيقول السفهاء من الناس سيقول السفهاء الخفاف الاحلام منهم اليهود لكراهتهم
التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن
الى دينهم فان قلت اى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت
فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع
للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمى يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم
التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض
كلها يهدى من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة و
المصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم

امة

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا او
صفة بالاسم الذى هو وسط الشئ ولذلك استوى فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ونحوه قوله صلعم [illegible] يريد الوسيطة بين السمينة
والعجفاء وصفا بالشئ وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث
مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها
الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى كانت هى
الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة
جمل اعرابى للحج فقال اعطنى من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير
او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض
لتكونوا شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ
الانبياء فيطلب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم
فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله فيشهدون فيقول الامم من
اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله فيسأل عن
حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم

من سطاتهن الا انه زاد الهاء

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى
الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

شهيدا او شهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب
على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء
شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا
شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل الا بشهادة العدول الاخيار
ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم
اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول
اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل
يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلعم كان يصلي
بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى
الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة
الا لنعلم يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت
المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس
كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا
وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك
قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلعم
والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده
وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما وضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي
تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة
شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول
الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطف وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم
ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة
لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة عن
ابن عباس لما وجه رسول الله صلعم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل
من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم
يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون

الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه على
واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة
ويجوز ان يكون متضمنة لمعنى الاستفهام وتعلق عنها العلم كقولك علمت ازيد في
الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ ابن كثير بالرفع
ووجها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاول اولى ليكون
كقولك ان زيدا لمنطلق وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد
وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوقع من ربه التحويل
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل والوحي بالتحويل فلنولينك
فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا
له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل
اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته
شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام
عن البراء ابن عازب قدم النبي صلعم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر
بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين

صلوة الظهر

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت
بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد الحرام نصب على الظرف
اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه
حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة
الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في
بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وآله انه يصلي الى القبلتين يعملون
قرئ بالتاء والياء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط
بكل آية برهان وحجة على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس لشبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم
اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما
بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن
القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت
المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته
عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله
لشكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة الحال
المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا
لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير
واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب
للثبات على الحق فإن قلت كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان
لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة
الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله معرفة جلية
فيميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم
لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر أنه سأل عبد الله بن
سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم
قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت
فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا
يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته
وكونه علما معلوما بغير إعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة
وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره حديث عبد الله بن سلام
فإن قلت لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء
ألزم وبقلوبهم ألصق وإن فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم
الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل

أن يكون

لا محالة صح

ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير

يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومبتدأ وخبره من ربك
وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك
وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه
من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب
فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت
يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي عليه السلام الحق
من ربك على الإبدال من الأول أي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل
وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا ولكل من أهل الأديان
المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها هو موليها
وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو الله تعالى أي الله موليها إياه
وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت
اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر
هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة يتوجه
إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات واستبقوا إليها غيركم من
أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي
جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ

اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه
ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة
للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا
يجمعكم ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة فكانكم تصلون حاضرين
المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اي ومن اي بلدة
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور به
وقرئ يعملون بالياء والتاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى
الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه
نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء
من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم
القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون
للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بالحجة المعاندين
قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في
التورية فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه
سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض

فاذكروني

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ
نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا
لِي وَلَا تَكْفُرُونِ

في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب
الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة
آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي الا الذين ظلموا منهم
على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منها فلا تخشوهم فلا
تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا
امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة
عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة
كانه قيل اخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على
لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام
تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اما كما ارسلنا
اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما
انعمتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم
بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي
ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي اموات بل احياء ولكن
لا تشعرون اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ

قيل المراد في العرب قبيلتي ... واصلها اسمعيل ... زيد بن علي ...

جمهور الفقهاء ... في البدن ... بعد الموت ...

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

ثم الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء
الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعم وان كانت في حجم الذرة وقيل
نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم
هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله
وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر
الصابرين المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن
النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا لله
وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له
مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل
ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم
وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء
او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب وبشر لرسول الله صلعم
او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام
شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة

قلبه

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها
وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم
رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق
الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة علمان
للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة
من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في
المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم
وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من
شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على
الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا
رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما
فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون
الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح
في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمنهم قائل هو تطوع
بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح

فمن وائل

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا

عليهما أن يتراجعا وغير ذلك كقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له
ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير رضوان الله عليهم
وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن
أبي حنيفة أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأولين
لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم
وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير من أحبار اليهود إن الذين
يكتمون ما أنزلنا في التوراة من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب أي يكتمون من أحبار اليهود وما أنزلنا في التوراة
من البينات من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلعم والهدى والهداية
بوصفه إلى اتباعه والإيمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس
في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد
منهم فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم
وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من
أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه
أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضدها
ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين كفروا
وماتوا وهم كفار يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا

[illegible]

ذكر لعنتهم

لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون
بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد
وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة
فإن قلت ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد بالناس
من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة
وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من الإنظار
أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم
إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها لا إله إلا هو
الرحمن الرحيم لا إله إلا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم
أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فإن كل ما سواه إما نعمة وإما
منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية
تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت إن في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لأن كل واحد منهما
يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم
مما يحمل فيها أو ينفع الناس فإن قلت قوله وبث فيها عطف على أنزل أم أحيا
قلت الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض
عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل
في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا

[illegible]

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعَذَابِ . بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون
بالحياء. وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا
وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل
تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر تحت الرياح في تقلبه
في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون
بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظم القدرة وباهر الحكمة
وعن النبي صلى الله عليه وآله ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها
اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وبتصريح
على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل
من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم
ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيمه
والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما
استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي
يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون
اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا
لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون
عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له

ويجعلونهم

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا
كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت
باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي
الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم
ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم
ويعلمون شدة عقابه بالظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة
لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم
بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا
وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء
على خطاب الرسول صلعم او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت
امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل
كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي
تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء
للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء
ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع
والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم ولو في معنى التمني ولذلك اجيب

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم
بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

التي يجاب بها التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث
مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات
مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار هم بمنزلته في قولهم هم يفرشون اللبد كل طمرة
في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا حال من المفعول لكلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل
شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل
حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين و
بضمة وسكون وخطوات بضمتين بهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات
بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي
وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا
اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان
لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم
بالسوء والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد له
والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا
حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت
كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر
بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين

لطاعتكم

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي
فهم لا يعقلون

لطاعتكم وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان
بطبعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الضمير للناس
وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال
اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم
المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل
قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد
والتعجب معناه اتتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب ومثل الذين كفروا لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا
كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم
الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء
اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه
الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء
ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام رافع صوته بكلامه
الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في
اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت
ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون

لكن

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا
عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم

اسم على حذف مضاف وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق
بما لا يسمع إلا دعاء ونداء لأن الأصنام
لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن
قال الأخطل فانعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
وأما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي رفع على الذم يا أيها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لأن كل ما رزقه
لا يكون إلا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون
إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلعم
يقول الله عز وجل إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري
وأرزق ويشكر غيري وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول
وحرم بوزن كرم وما أهل به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول
أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستئثار عليه
ولا عاد سد الجوعة فإن قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله أحلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه
الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة
لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الوهم إلى الكبد و
الطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل
سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا

وشبهوه

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به
ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله
دابة في قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت فما
له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له
وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم إن الذين يكتمون
ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في
بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار
لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم
أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال أكلت دما إن لم أرعك
بضرة وقيل يأكلون كل ليلة إكافا أراد ثمن الإكاف فسماه إكافا
لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في
تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة
عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله
بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات
النار غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك
على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب
وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل
معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ
الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا و

بمكة فصنعتم الى رجل من العرب فحلف احدهما على هو صاحبه فقال له
ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله
نزل اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق
وان الذين اختلفوا فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل
وهم اهل الكتاب لفى شقاق لفى خلاف بعيد عن الحق وال الكتاب للجنس
او لكفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين
اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم اساطير وبعضهم شعر
لفى شقاق بعيد يعنى لتن اولئك لو لم يختلفوا ولم يتشاقوا لما جسروا على
ان يكفروا وليس البر اسم ليس والخبر مقدم ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب خطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلى قبل المغرب الى
بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض فى امر القبلة
حين حول رسول الله صلى الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر
التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ
خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب
فى امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب ان تذهلوا بشانه عن ساير
صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه
بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم
وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك

ليس المطلق

ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على وقيل حذف المضاف اى بر
من آمن او بتاويل البر بمعنى ذى البر او كما قالت فانما هى اقبال وادبار
وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرئ
ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله
او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب
الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوى القربى لانهم
احق قال ع صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها
صدقة وصلة وقال افضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح والطلق
ذوى القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الاكتساب والمسكين
الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل
المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع
ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين
المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله للسائل حق وان جاء
على راس فرسه وفى الرقاب وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى فان قلت
قد ذكر ايتاء المال على هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء
فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم

ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي
ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك
بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة
والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح
اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ
والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين
عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك
والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية
ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية
ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم
فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وآله
المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل
ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين
من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر

اي التفوق وزيادة

فاقسموا

فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد
فتحاكموا الى رسول الله صلعم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم
ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه
شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير
ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى الى مفعوله
الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل
انه ولي الدم ومطالبته به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه
ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر
ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت عفا يتعدى بعن
لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب
فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان
عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في
الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية
فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به
قلت لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله
صلى الله عليه وآله واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره
اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت
عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة

مشهورة

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا

مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة
نابية عن مكانها بعيدة وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترى اذا اعضل عليه
تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه
وهذه جراءة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت
للاشعار بانه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم
او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية
فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه
والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه
الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله
ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان
اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل
الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث
القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف
فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان
الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به بعد ذلك فيقتله
فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل
بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون
ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص

في مكانها

الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة
محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في
هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون
بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل
بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع
القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع
عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه
يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص
سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما
قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي ولكم في القرآن
حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون
اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون
تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب فيه فضل
اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته
ان ترك خيرا مالا كثيرا عن عائشة ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار
فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة
آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا
وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي عليه السلام ان مولى له
اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا

فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه
إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح
بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم

والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى
الإيصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث
كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله صلعم إن الله أعطى كل
ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق
بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي
صحت روايته وقيل لم ينسخ والوارث يجمع بين الوصية والميراث بحكم
الآيتين وقيل ما هي بمخالفة آية المواريث ومعناه كتب عليكم
ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى يوصيكم
الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير
ما أوصى الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم المعروف بالعدل
وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد
أي حق ذلك حقا فمن بدله أي من غيره من الإيصاء من وجانه لكان
موافقا للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما
إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدليه
دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف إن الله سميع
عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع
يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب
الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما
تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون

باجرائهم

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن
كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

باجرائهم على طريق الشرع فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل
إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم
كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال
علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله
أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي
لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال صلعم
فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين
لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام وهو
شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا عشرا قبله
وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد
فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع
وزادوا عشرين يوما وقيل كفارة لتحويله عن وقته وقيل
الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلعم
صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب
عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم
نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات
بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

يقدر بالعدد ويتحكر فيه الكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي عليه السلام والشعبي وابن عمر وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود وامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى به الا من عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين

لا عذر لهم

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدو الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم شهر رمضان الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه

كونه

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

عليها اذا دبرت فان قلت لم سمى شهر رمضان قلت القوم
فيه عبادة قديمة كانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم
اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة
القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض
الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه
جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلعم من صام رمضان
ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب
الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم
وارتفاعه على انه مبتدأ وخبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل
من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف
وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات
او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القران ابتدى فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى السماء الدنيا ثم
انزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلعم
انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست
مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس
وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات

واضحات

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت
ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا
انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر
في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في
فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج
وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها و
من جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض و
من الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام
منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين والفعل المعلل
محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في
اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان واتا

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا معنى الحمد وكانه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هديكم ومعنى لعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا
وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا
معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة
او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت
ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر
وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة
اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب
مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقوله صلعم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا هو بينكم وبين اعناق
رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون
ويرشدون بفتح الشين وكسرها وكان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها
او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة
ثم ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل
اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ

فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل
فقال صلعم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما
كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام
الرفث اي احل الله وقرئ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب
ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه
انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك
لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء
فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء
من ذلك فان قلت لم كني عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح
بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن
او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به
منهن فلا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما
سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه
معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما
على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن
لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت
بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن
وصعب عليكم اجتنابهن ولذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل

انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان
من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم
وعفا عنكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة
اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له
النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل و
ابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم
وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس
واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله
لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود
والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود
قال ابو داود فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض فاكتفى به عن بيان الخيط الاسود
لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر
واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت
قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا
مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من
الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ

ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها

من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار
ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لكان لم يعلم ان الخيطين
مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون
استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان
حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي
فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما
اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فضحك
فقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا
وانما ذلك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلعم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل
وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه
شاله قد انحص من حب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي
عن سهل ابن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر وكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه
انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث
حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه
قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت
اما من يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب

كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

الى علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوّز
فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله
اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل
على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل
الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها
والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة
الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبّل فانزل وعن قتادة
كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم
الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في
مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي
وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه
في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت
حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها
مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله
والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لأن
من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد
الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل

وان يكون

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون

وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه
واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله
ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا
تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم
فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة
او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه
فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال
كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل
كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء
على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان
كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسألونك عن الاهلة قل
هي مواقيت للناس والحج روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى

وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة
فنزلت مواقيت معالم توقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن
ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس
من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا
من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج
أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء
فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما
حرم الله فإن قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم
عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم
أن كل ما يفعله الله لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا
السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر
في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن
يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك
باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن
تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
ثم قال وأتوا البيوت من أبوابها أي وباشروا الأمور من وجوهها
التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين

النفوس

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ
مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج
شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام
بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله
هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم
القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين
كافة وعن ربيع ابن أنس هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من
أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم
جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا
أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على
أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
أن لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا
ذلك فنزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع
عنهم الجناح في ذلك لا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن
قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة
أو بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم
والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه
قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود من حيث أخرجوكم
أي من مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد

وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ
فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ

من القتل اى المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل فى الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم فى الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم و قرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل فى بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان قال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام بالجند الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم

لعمرة القضا

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اى كل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم والباء فى بايديكم مزيدة مثلها فى اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لاهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه و يضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو وروى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصارى رضى الله عنه نحن اعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلعم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشى الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو على فى الحلبيات عن ابى عبيدة

وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله

التهلكة والهلاك والهلك واحد فدل هذا من قولهم على
أن التهلكة مصدر ومثلها ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة
ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة
والتبصرة ونحوها على أنها مصدر من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما
جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين
بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج أن تقف المطايا على عرفات واضعف الاثم
جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما
أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس و
ابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد
حجة كوفية أفضل وقيل أن يكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية فإن قلت هل فيه
دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك
على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا
إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا
الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف
الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك
فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله

العمرة واجبة

العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد
والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال
إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت
مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج أن
القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر
والحجاج والعمار لأنه الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له
في الوجوب وأما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت
بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل
الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيه فهما بمنزلة
قولك صم شهر رمضان والستة من شوال فإنك تأمره بفرض وتطوع
وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك
إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه
أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله
وقال ابن ميادة وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك
شغول وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير
وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل
شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه

فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك

قول ابى حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر فى اثبات
حكم الاحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلعم
من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه
يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال
فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدىّ بالتشديد جمع هدية كمطية
ومطى بعير فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة
فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة
فان قلت اين ومتى ينحر هدى المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء
عند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما (مالك والشافعى)
فى ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا
ما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر
ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اى ولا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه
ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابى حنيفة فان
قلت فان النبى صلى الله عليه وآله نحر هديه حيث احصر قلت كان
محصره طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى
ان النبى صلى الله عليه وآله نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى
الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا

فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم

اى فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل
او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة
مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن
كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لعلك آذاك
هوامك قال نعم يا رسول الله صلعم قال احلق راسك وصم ثلثة ايام
او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فىّ نزلت هذه
الآية وروى انه عليه السلام مر وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى
وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة
وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا
وكنتم فى حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه
بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع
بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما
عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند
ابى حنيفة ويأكل منه وعند الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه
ولا يذبحه الا يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بالحجة فمن
لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج اى فى وقته وهو اشهرها
بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابى حنيفة
والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت

هشتم نهم هفتم

تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب

لم يجز به الا الدم وعند الشافعي لا الصيام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا
بقوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال
الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة
وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت
الواو قد تجي للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه
لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة
وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك
كاملة تأكيد وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا
ينقص من عددها كانك تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان
منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي
وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع
عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن
تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن
والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي
اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا و
حاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة

وعنده اهل

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج

وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة
واتقوا في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن خالفه ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم
في التقوى الحج اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة
وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه
الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج
لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه
فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه
ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما
كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة
كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او
اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي
عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند
عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق
الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال
لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات
عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير

وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب

طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكل
عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له
فمن فرض فيهن الحج لمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدى وسوقه
عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا
فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب
والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين
وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال
لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن
والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات
الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر
بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك
ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر
الحرام وساير العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة
وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى
انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل به على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه عليه السلام لم يذكر الجدال وما تفعلوا

من خير

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم

من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان
القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق
والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم
ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اتقاء وقيل
كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله
افلا يطعمنا فكانوا كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى فاتقون و
خافوا عقابي يا اولى الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه
من الالباء فكانه لا لب له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع
والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج
واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم يقم لهم سوق ويسمون
من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها
في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع
الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن
عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون انه لا حج لنا
فقال سأل رجل رسول الله صلعم عما سألت حتى فلم يرد عليه حتى نزل
ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم

فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ

تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة
في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا افضتم
دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم
فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر
صب في قرآن وهو يحرش بغير مجحنة وتعالى فاضوا في الحديث وافيضوا فيه
وعرفات علم للموقف سمى بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون
بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها
ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح
تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة
من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي
بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها
وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها
عرفها وقيل ان جبرئيل عليه السلام حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها
فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون
فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة فان العرفة لا تعرف
في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف
بعرفة لان الافاضة لا يكون الا بعد الوقوف وعن النبي صلى الله عليه وآله الحج

عرفة

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام
قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر
من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وآله لما صلى
الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام
قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند
المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عمر
انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون
وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها
اي دنى منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال
وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف
فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما
هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه
وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من المزدلفة وذلك لما كان عليه

الميقدة . د
اي الموضع الذي كان يوقد فيه النار
في الجاهلية بالمشعر الحرام

فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساو
وهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها
في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي ثم لتفاوت ما بين الاحسان
الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند
الافاضة من عرفات ثم قال افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احدهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث
افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات
وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلام
من قوله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي يعني ان الافاضة
من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم
في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا
فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم فاكثروا ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل
آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم
ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم

ان الله غفور رحيم

على

واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى

على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس معناه اكثروا ذكر الله
ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر
يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا
في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق اي طلب خلاق وهو النصيب او ما
لهذا الداعي في الاخرة من نصيب لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان ما
طلبه الصالحون في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم
في الاخرة من الثواب وعن علي عليه السلام الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء اولئك الداعون
بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة
وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما
خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب
مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من
الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون
اولئك للفريقين جميعا فان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله
سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر
وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الاخرة الخلائق على كثرة عددهم
وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار
لمحة الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار

وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

الصلوات وعند الجمار وعن عمر انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله
حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل
النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر قد يدرك المتأني
بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل الاجل المتانى في يومين بعد يوم النحر
يوم القر وهو الذي تسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار
كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتاده وعن ابي حنيفة و
اصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم
الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت
كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجيل
والتاخير مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت اليس التاخر بافضل
قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين
الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا
فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي
المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر
لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق
صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه
هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد
ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه

كقوله تعا

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ

كقوله تعالى ذلك خير للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك
ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق
كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله الان له القول
وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام
في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت
بم يتعلق قوله في الحيوة قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا
لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة
كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وآله
فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي
قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك في الدنيا ولا يعجبك في الاخرة
لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام
فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول
الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف
ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة
للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك
مواشيهم واحرق زرعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في
كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة

وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد

وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله تعالى بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول أخذته العزة بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم وللمنافقين لأنهم آمنوا

بألسنتهم

ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم

بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف لأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فاعلموا أن الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة عطفا على الظلل أو على الغمام فإن قلت

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم فكيف ان كان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول صلى الله عليه وآله ولكل واحد والسؤال سؤال تقريع كما تسال الكفرة يوم القيمة كم اتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل النعم من الله تعالى لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله عز وجل فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه

اذا لم يتمكن

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

اذا لم يتمكن من معرفتها او يعرفها فكانها غائبة وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه والمؤمنون احق بها منكم فان قلت لما قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى واذا سمعوا ذلك

كان الناس امة واحدة ... فيما اختلفوا فيه

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ

ودين الاسلام فبعث الله النبيين يريد واختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة
قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة
فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة
فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم
والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت
عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عليهما السلام عشرة قرون على
شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل
معهم الكتاب يريد الجنس اي مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب
او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام والذي اختلفوا فيه
بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة
انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الذين آمنوا
للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير
وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على
النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين
على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب
وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي
هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد
في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا اي حالهم التي

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال
كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول
الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم
الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة
زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه
في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
ولم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها
الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة
الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى
الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل
حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق
الجواب السؤال في قوله تعالى قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا
ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني
الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها قال
الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاءه
عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم

يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر
عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا

بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان تكون بمعنى الكراهة على
وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار
كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على انه لغة فيه
بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على
سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه
كقوله عز وجل حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا
جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم
ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلعم
عبد الله ابن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين
ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك
اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
فوقف رسول الله صلعم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما
نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلعم العير والاسارى وعن ابن
عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلعم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة

عبد الله

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم
وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن شهر القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان
يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره يعني وكباير قريش من صدهم
عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلعم
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء
على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يحسن
ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل
كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق
بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده
اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم
باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستيفائها والموت عليها
من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند
ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
ان عبد الله ابن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا عن الاثم فليس لهم

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس و
اثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة

لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمت الله وعن قتادة هؤلاء اخيار هذه الامة
ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب
نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما
اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ونفرا من الصحابة فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها ناس منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم
فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري
بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال انتهينا يا رب
وعن علي عليه السلام لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها
ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه
لم تتبعني وهذا من الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا
واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي
لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان منه

وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة و
عن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام
ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند
اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها
العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرها اي تحجزها وكانها سميت بالمصدر
من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع
من فعلهما يقال يسرته اي قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل
بيسر وسهولة من غير كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن
عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم يا شعب
اذ ييسر دني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر
قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها
نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين
الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام
ليس فيهن ربيح واسامهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة
يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها

يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل

٩ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ اِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَاِنْ تُخَالِطُوهُمْ
فَاِخْوَانُكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَاَعْنَتَكُمْ
اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الانصبا اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
لم ياخذ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقراء ولا
ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر
انواع القمار من الشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وآله اياكم وهاتين
الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي عليه السلام ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شي فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما في
تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر
نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى
مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وعطياتهم
وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء
وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار
يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة والعفو نقيض الجهد وهو ان ينفق
ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي
مودتي ويروى ان الرجل من التهلكة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي
صلى الله عليه وآله ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض
المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله

فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر
فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره
ثم قال يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون
فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد
في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان
تكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة
والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما
ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما
لعلكم تتفكرون ٩ لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق
ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه
الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم
تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة
على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد
واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس
قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء
حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده

وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

ولا تنكحوا قرئ بضم التاء اى لا تتزوجوهن والمشركات الحربيات
والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان
اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة
كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة
ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها
عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا
فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم
فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة كانت
او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله وآماؤه ولو اعجبكم
ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع
ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر
فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا
المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني اولياء الله وهم المؤمنون
يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة
والمغفرة وقرئ والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة

بتيسيره

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا
تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ

بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا
قل هو اذى اى الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة
فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان
اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجالسوها على
فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس واليهود فلما نزلت اخذ المسلمون
بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب
يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك
سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وآله
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين
وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان
اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى
محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امرأته
وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى
زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلعم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال
لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة
وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت تجتنب شعار الدم

ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا

انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
والله سميع عليم

وله ما سوى ذلك وقرئ يطّهّرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهّرن
ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع الحيض وكلتا القراءتين
مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم و
ان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة
وذهب الشافعى الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهو قول واضح
ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من المأتى الذى امركم الله تعالى
به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا
من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع
الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك
حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى
فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله فأتوا
حرثكم انى شئتم تمثيل اى فأتوهن كما تأتون اراضيكم التى
تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى
جامعوهن من اى شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع
الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا
حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها

ويتادبوا بها

ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم
ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله ولا تجترئوا على المناهى واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم
بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم
حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث
امركم الله يعنى ان المأتى الذى امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة
للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض فان قلت
ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا قلت كان
سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع فى احوال متفرقة فلم يؤت بحرف
العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث
الاخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن
الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم ما تعرضه دون الشئ من عرض العود
على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلونى عرضة للوائم ومعنى الآية
على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم واصلاح ذات
بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث فى يمينى
فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا
لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وآله
لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير
وكفر عن يمينك اى على شئ مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان
لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت
بما تعلقت اللام فى لايمانكم قلت بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا
ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض
البر من اعترضنى كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة
اى ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى
ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل
فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان
تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على
الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام
وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين

الساقط

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو الذى لا عقد معه والدليل عليه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه
فعند ابى حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشئ يظنه على ما حلف عليه
ثم يظهر خلافه وعند الشافعى هو قول لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف
فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان
احدهما لا يؤاخذكم اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم ظانا
ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اى اقترفته من اثم القصد الى الكذب
فى اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس
والثانى لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اى بما نوت قلوبكم و
قصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث
لا يؤاخذكم باللغو فى ايمانكم قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن
عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدى بمن وهو معدى بعلى قلت
قد ضمن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم
مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
كقولك لى منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة
اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا

دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها
في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته
كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما
ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر
بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون
على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة
وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف
موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان
فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول
انا نزيلكم هذا الشهر فان حمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول
فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع
قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة
ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله
كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء
فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ
مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك

فان قلت

فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل
الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه
مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو
يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة
كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد
ولو قيل ويتربص المطلقات لم تكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة
قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن
على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك
ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على
الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة
ايام اقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل
طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء
الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة
بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء
دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء
فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا
من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فكيف يكون ... قلت
اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد

فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وانما يعني الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين

بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استبطال مدة غيبته
عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغادات وانه تمر على نسائه مدة كمدة
العدة ضايعة لا يضاجعن فيها او اراد من اوقات نسائك قال القرء والقارى
جاء في معنى الوقت ولم يرد الحيض ولا الطهر فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت
على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على انه
ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر
لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء
كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همزة ما خلق الله
في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها
فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها
او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز
ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به
ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ
على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في
الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة
يعني واهل بعولتهن احق بردهن وفي قراءة ابي بردتهن

في ذلك

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان
للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة
وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة
ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا
مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال
مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات
الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف
احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب
في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له
ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق
والفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة
بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير
كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو
ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك
وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى فامساك بمعروف
او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اى برجعة او تسريح باحسان اى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة فى طهر الثالث وروى ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال صلعم او تسريح باحسان وعند ابى حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى فى حديث ابن عمر ان رسول الله صلعم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لا باس بارسال الثلث لحديث العجلانى الذى لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلعم فلم ينكر عليه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان فى الاسلام فان قلت لمن الخطاب فى قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله وان

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

[illegible]

للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا ان يعلم الزوجان الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطيت فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بدل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها فى بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفى قراءة ابى الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وفرق ان يكون كذا يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله الطلاق مرتان

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا

واستوفى نصابه فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور انه لا بد الاصابة لما روى عروة عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وعند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيما

فبلغن اجلهن

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال انتهى مدة وتبع في البلوغ الى شيق يبلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا لتظلموا وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم

كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا

ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون

بعد انقضاء العدة ظلماً وقسراً ولحمية الجاهلية لا يتركونهن
يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن
الذين يرغبون فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء يرغبن
في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في
معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل
في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطاباً
للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون
كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة وإن
قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح و
بلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء
بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل
ومن مذهب أبي حنيفة أنها إذا زوجت نفسها بأقل من
مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا فإن قلت لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله صلعم ولكل أحد
ونحوه ذلك خير لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام
وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء

والطهر

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن
أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف

والطهر وأنتم لا تعلمونه والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام
والشرائع وأنتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر
المؤكد كاملين توكيد كقوله تعالى تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه
فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس لمن
أراد أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة
وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيهاً لأن بما لتآخيهما في التأويل
فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه
الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام
الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله تعالى اليسر والتخفيف
فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن
الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر
وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده
أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب
يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئراً إلا إذا تطوعت
الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم
عند أبي حنيفة ما دامت زوجته أو معتدة من نكاح وعند الشافعي
فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات
مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن تكون أمراً على وجه الندب

لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه ولم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كقوله عليهم في المغضوب عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف نفس إلا وسعها ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة

فطنة الراوي

فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف

فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها بعدما ألفها الصبي أن تطلب له ظئرا أو ما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع كذلك وإذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر في حق الولد فإن قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشرائط التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعند أبي حنيفة

وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه
من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث
الاب وهو الصبي نفسه وان مات ابوه وورثه وجب عليه اجرة رضاعه في ماله
ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث
على الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وآله واجعله الوارث
منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل
هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي
فقرا وان اردتم استرضع منقول من ارضع يق ارضعت المراة واسترضعتها
الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان
تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما
تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما
عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله عز وجل
اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله
تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم
اي ما آتاكم الرسول او اقدركم عليه من الاجرة ونحوه واتقوا الله ما جعلكم
مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى

الاولى

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الذي تعطاه المرضع اهنأ
ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن
الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتاءه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم
اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا
ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين
لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن
والذين يتوفون منكم يتربصن اي وقيل معناه يتربصن بعدهم كقوله
السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم لهم
وقيل وهي قراءة علي عليه السلام والذي حكى ان ابا الاسود الدؤلي كان
يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان
احد الاسباب الباعثة لعلي عليه السلام على ان امره بان يضع كتابا في النحو
يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ايام
وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون
التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من
كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما
فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا

ان يكفوهن وان فرطوا كان الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي
امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك
او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت
دخل علي ابو جعفر محمد بن علي عليهم السلام وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي
من رسول الله صلعم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك
اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال وقد فعلت انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلعم وموضعي قد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة رضي الله عنها
وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته
من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله
عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض
قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا
يدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك
ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا
وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه
ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن

لا محالة

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم

لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه
طرف من التوبيخ كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت
اين المستدرك بقوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا قلت هو محذوف
لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
قال الاعشى فلا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم
عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تتواصوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء
قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة ولا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض
ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها اني
كثير الجماع كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا
يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في
السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان
مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنه
الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا
عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد

لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا
لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين

النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل
انهى ومعناه ولا تعزموا عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح
وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وآله لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض
من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه
غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن
فريضة او حتى تفرضوا لهن وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان
المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم
لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر
قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات
للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا
ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة
ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم ولا ينقص من نصفها
الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان
ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال في القدر والقدر لغتان
عن النبي صلعم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا
ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها

بقلنسوتك

وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة
النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله
بما تعملون بصير

بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر
المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم
او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع و
سماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وآله من قتل قتيلا فله سلبه
الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون
والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني
لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب
ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو
المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة
ما راني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي
يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق
اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف الزائد
على تسمية عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند
التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك
المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا
احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين
فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما
علمكم ما لم تكونوا تعلمون

فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل لم تزوجتها فقال عرضها
علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل
اي لا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرا الحسن يعفو
الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف
لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو
والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط
وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر ملا الله
بيوتهم نارا وقال صلعم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت
بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية
فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلعم يقراها فاملت عليه
الصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى
وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احدهما
الصلوة الوسطى اما الظهر واما المغرب واما الفجر على اختلاف الروايات فيها
والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم
ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان النبي
صلعم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن
مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة ابن ذويب
هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرا عبد الله

وعلى

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا
الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في
انفسهن من معروف والله عزيز حكيم

وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح
والاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين
ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان يذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا
يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر
وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت
او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم
خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام
او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد
ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف
وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة
فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال
الامن تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم
الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم
وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد
باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله
كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون

منكم

وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع
لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية
الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب لانه
في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربك زيدا ضربا شديدا
وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا
او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى انه حق على الذين يتوفون ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان يمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن
من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا ونسخت النفقة بالارث
الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن
فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر
شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الآية
متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب
المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها
وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير
وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناول
التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة

الم تر

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب
من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل عليه السلام
بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه
تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم
قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف
في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير
الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله تعالى
فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله تعالى وانما جيء به على
هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا
من غير اباء وتوقف كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة
وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله

وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون

لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر
اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا
اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على
انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في
سبيل الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرونه
وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه و
القرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا
كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله تعالى
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
لا يبدل لكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
لنبي لهم هو يوشع او شمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال امير نصدر
على تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل
رسول الله صلى الله عليه وآله من التامير على الجيوش التي كان يجهزها
ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه صلعم امر الناس اذا
سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على
الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او
استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل يعني هل الامر
كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى

اتوقع

وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله واسع عليم
وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة

اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه
كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر معناه التقرير وقرئ عسيتم
بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل اي واي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن
القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته زعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم
ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع
صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما
وافق حنطة حنطا وبشمالا ها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من
الطول لما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين
هو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في
ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة
حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال
انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللّٰهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

فيقصده وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب
والملك في سبط يهودا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء
او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد
ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله
ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز
ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبي وذلك ان الملك
لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ
العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة
والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء
اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع
الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن
يصطفيه للملك التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل
قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون السكينة السكون والطمأنينة
وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب
كذنبه وجناحان فيهن فتزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيه

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ
وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللّٰهَ
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تِلْكَ آيَاتُ اللّٰهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء
من التورية وكان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله
وهم ينظرون اليه فكان ذلك لاصطفاء الله تعالى طالوت وقيل
كان مع موسى عليه السلام ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما
غيرت بنوا اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما
اراد الله تعالى ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس
مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت التابوه
بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو
من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق
ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال
يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما
من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما
في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا
ابو السماك سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله
بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني يعقوب

بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب فكان اولاد
يعقوب اليهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما
فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول
حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون
فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود
روى انه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة
ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة
فسألوا ان يجرى الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر
فمن شرب منه فمن ابتداء شربه من النهر بان كرع فيه فليس منى فليس بمتصل
بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما و
يجوز ان يراد فليس من جملتى واشياعى ومن لم يطعمه ومن لم يذقه
من طعم الشىء اذا ذاقه ومنه طعم الشىء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف البرد عليه وهو النوم ويقال ما ذقت
غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان
شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار
من النبى وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحى وقرئ بنهر
بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن

شرب منه

شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية
كما قدم والصابئون فى قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع
والدليل عليه قوله فشربوا منه اى فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة
بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابى والاعمش الا قليل بالرفع
وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من
علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه
قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال
الا مسحتا او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف و
قيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا
يعنى القليل قال الذين يظنون يعنى الخلص منهم الذين نصبوا اعينهم
لقاء الله وايقنوا والذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون
الله والمؤمنون يختلفون فى قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير فى
قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين
ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم فى الانخزال
ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه
واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت
جبار من العمالقة من اولاد عمليق ابن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل

وثبت اقدامنا وهب لنا ما يثبت به من مداحض الحرب من قوة القلوب
والقاء الرعب فى قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود
فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى
الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذى يقتل جالوت فطلبه
من ابيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها الى حمله
وقالوا انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت
فقتله وزوجه طالوت بنته وروى انه حسده واراد قتله ثم تاب
واتاه الملك فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنوا
اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء
من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله
الناس ولولا ان الله يدفع الله بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله
ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل
المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل
الارض تلك آيات الله يعنى القصص التى اقتصها من حديث
الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية
التى هى نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدى صبى داود

بالحق

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد

بالحق باليقين الذى لا يشك فيه اهل الكتاب لانه فى كتبهم
كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير تعرف بقراءة كتاب
ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت
قصصها فى السورة او التى ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وآله
فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم فى الحسنات منهم
من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام
وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليمانى كالم الله من المكالمة ويدل عليه
قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه
على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل افضل منهم بدرجات
كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلعم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى
ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر ولو
لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتى الانبياء
لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى هذا الابهام
من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى
لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم
او بعضكم يريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من
التصريح به وابوه لصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة
ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون

نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمدا عليهما السلام وغيرهما من أولي العزم
من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا
بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء
وقلنا رسول الله أفضلهم منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل فقال فيما أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد
أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فإن قلت
فلم خص موسى وعيسى عليهما السلام من بين سائر الأنبياء بالذكر قلت لما أوتيا
من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث
جعل التكليم من الفضل وهو من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا
ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين
أن من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا محمد
صلعم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له
بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله
مشيئة إلجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب
مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء
ومنهم من كفر لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله
يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة أنفقوا مما رزقناكم أراد الإنفاق
الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك

ما فاتكم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه
السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم

ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة
حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب
لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثم في زيادة
الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون أراد والتاركون الزكاة هم
الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر
مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي
يصح أن يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه و
قرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى
النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت في
عينه سنة وليس بنائم أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم
لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث موسى صلوات
الله عليه أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام
ربنا فأوحى الله تعالى إليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال
خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب
إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى الله إليه قل لهؤلاء إني أمسك
السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا

من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك
ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله تعالى ونعوذ لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم والضمير لما في السموت والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه
من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما
علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل من مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه
اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموت والارض لبسطته وسعته
وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموت
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة
شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني
وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع
ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا
هو بين يدي العرش دونه السموت والارض وهو الى العرش كاصغر شيء
وعن الحسن الكرسي هو العرش فلا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة
فان قلت كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت
وما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان
متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين

العصا ولحائها

العصا ولحائها فالاولى لبيان قيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه
غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه
والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها
او لجلاله وعظم شانه وقدره فان قلت لم فضلت هذه الاية
حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وآله ما قرئت هذه الاية
في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها اهلك وولدك وجيرانك فما نزلت آية
اعظم منها وعن علي عليه السلام سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا
اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين افضل ما في القرآن
فقال لهم علي عليه السلام اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وآله يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله
وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان

لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها والله سميع عليم

ذكره كان افضل من ساير الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها
منزلة عند الله تعالى علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه
فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان
على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر
على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل
الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام
والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم
لا انفصام لها اي لا انقطاع لها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به
وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو
منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو
في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه
كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث
رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم
فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر

فنزلت

الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون

فخلاهما الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا
يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين
كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين
يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من
حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم
الشياطين يخرجونهم من النور البينات الذي يظهر لهم الى الظلمات
الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به
ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان
آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر
والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب
عليه من الشكر على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك
كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان
يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك
فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله تعالى الملك الكفار قلت
فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع
واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال
نصب بحاج او بدل من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي وامیت

[illegible]

أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه
الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت
قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى
طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية
للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما
فلما تبين يريد اعفى عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم
له قال أعلم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل
أن الله على كل شيء قدير الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على
جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي [illegible]
قرب وقيل كان هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه
من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي
ويميت أو كالذي معناه او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر
عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه
قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان
كافر البعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد
التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى
ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله أنى يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام القدرة المحيي والقرية
بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف
وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء
على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى البقية من
الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا

وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا
والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت
واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك
ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه
لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث
مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك
لم يتسن وقرأ لم يتسنه بادغام التاء في السين وانظر الى
حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار وقد ربطه ويجوز
ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم
الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه
بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره فقال انا
عزير فكذبوه فقالوا هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه
وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ
التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى
منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَ
لٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ
اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها
من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ ننشزها بالزاي بمعنى
نحركها ونرفع بعضها الى البعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره
فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء
قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا
ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن
عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ
الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المأمور كما قرأ فكيف
يسوغ ان يخاطبه الله تعالى قلت كان الكلام بعد البعث ولم يك اذ
ذاك كافرا ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد
علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من
الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى
آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم
الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد
للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف
الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره
ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير

قيل طاو

طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها
بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكرم الدوالح
وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء
من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه
فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل
جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله
يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على
فان قلت فما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها
ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء
ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال تعالى يأتينك سعيا وروي
انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها
ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان
يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل منهن ربعا من كل طائر ثم
يصيح تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت
جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقرئ

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ وَاللهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ
مَا اَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا اَذًى لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
بجزءا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد
كما يشدد في الوقف اجرا للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
لابد من حذف مضاف اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات
كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج
ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح
هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة
وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ
حبها ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت
هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات
خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع
متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اى يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف
تلك المضاعفة سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك
المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب
عليه حقا له فكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرء اسدى الى صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم

صنوان

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ
يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ
مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ
مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
صنوان من نبع سابلة ومن منع نائلة وضن به وفيهما ام طعم
الآلاء احلى من المن وهى امر من الآلاء مع المن والاذى لا تبطل
عليه بسبب ما ذال اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك
المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة
على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اى فرق
بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن
ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى
ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها
عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل
اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد
الجميل او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير
من صدقة يتبعها اذى صح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه
بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن
معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك
بما اتبعه كالذي ينفق ماله اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا
ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة
بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن

الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ
كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ فَاَصَابَهَا وَابِلٌ فَاٰتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ
فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ

كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا
من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق
لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا
ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم
مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله
كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي
ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق
وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق
الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة
وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها ذلت خاضعة
لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق
المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله
في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه
ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم
هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا
من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده

اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُوْنَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيْلٍ وَاَعْنَابٍ تَجْرِيْ مِنْ
تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ لَهُ فِيْهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ
ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَاَصَابَهَا اِعْصَارٌ فِيْهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰ لِكَ
يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ

قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت
معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة
وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى
واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل
فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان
كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت
او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية
عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل
حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين الهمزة في
ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح
التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل
لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة
وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان
واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم

يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد

ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر انه سال عنها الصحابة
فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك
قال ضرب مثلا للعمل قال لاي عمل قال الرجل غني يعمل الحسنات ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن
هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه
افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا
انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب
ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر
واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر
الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز
ان يريد بالثمرات والمنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله تعالى
وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت
علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه
ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت لو كان كذا وودت
لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل اود احدكم لو كانت له جنة
واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما
اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل
ومما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض

قلت معنا

الشيطن يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات
ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تامموا وقرا ابن عباس
ولا تيمموا بضم التاء ويمّمه وتيمّمه وتاممه سواء في معنى قصده ولستم
باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا ان
تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض
حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصره
وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم التاء وكسر الميم
وكسرها من غمض يغمض وقرا قتادة تغمضوا في السوق بناء للمفعول بمعنى الا ان تُدخلوا فيه
حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم
ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين
والوعد يستعمل في الخير والشر قال عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر
للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة
لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او
ثوابا عليه في الاخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما
للظالمين من أنصار إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم
والله بما تعملون خبير

والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله
الحكمة وهكذا قرأ الأعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير
كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث
على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق فنعما هي ما في نعما نكرة غير موصولة
ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها
وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء
فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن
الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس صدقات السر
في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها
أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض
أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان
إخفاؤها أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهارها
أفضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه
خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل
مبتدأ ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار
أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم ليس عليك هداهم
لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى
والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي

فحسب لكن الله

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون

للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض
يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون
الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم

فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا
ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم
وما تنفقون وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده
فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا
من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا
عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء
بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت
وعن سعيد بن جبير كانوا ينفقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين
وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع
وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم
وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف
في الواجب فجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره
الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء
كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي
صدقاتكم للفقراء والذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم
أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل
سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله فمن كان عنده فضل اتاهم
به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وآله يوما على
اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب
الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه
فانه من رفقائي في الجنة يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه
ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء
يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وآله
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف لاحب لا يهتدي
بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية
يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما
نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا
بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين تصدق
باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي لم يملك
الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا

وبدرهم علانية

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله
وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا
كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات
العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب
على غير استواء كخبط العشواء فورد ما كانوا يعتقدون له والمس
الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط
عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص
واخبار عجايب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت
بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي
بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم
اكلوا الربى فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض
ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربى فان قلت هلا قيل انما
الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم

الفاضون [illegible] كانهم الى نصب يوفضون [illegible]

يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكان شبهتهم انه قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي
الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق
المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا
وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار
لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل
على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ
من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ
بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس
من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وهذا دليل على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة
لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته
يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن
مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه
الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت
زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل
الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم
بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت في ثقيف وكان لهم
على قوم من قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء

انها على لغة

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى
مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

انها على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة
فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه حيف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم
يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب
فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم
وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا
وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان
هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من الله ورسوله وروي
انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من
الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها
ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون
ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة
فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء
وقرا عطاء فناظرة بمعنى فصاحب الحق ناظرة اي منتظرة او صاحب
نظرة على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل
وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار
وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وكقوله
واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على

قوله ... وقرا عثمان ذو عسرة على ... وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة صح

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا

من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل بالتصدق الانظار لقوله صلعم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس

ان المراد به

فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة

ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها مجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا

صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لعي او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها
او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه
وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه
واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من
رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء
وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان
البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على
اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان
فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة
فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل
احديهما ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق
اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت
كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار
مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما
واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار
فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة
ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه

فتذكر احديهما

وادنى ان لا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها
بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم
ولا يضار كاتب ولا شهيد

فتذكر احديهما بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة
ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول
والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا
يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة
وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة
الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم
فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق
ومنه لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فا حتاج
ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما من كثرة الكتب والتقييد في
تكتبوه للدين والحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر
ويجوز ان يكون الضمير للكتاب ان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته
الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان
تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم
للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من
انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت
يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من قسط واقام وان يكون
اقسط من قاسط على طريق النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ

ولا تسأموا ان تكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها
بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم
تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
فلا باس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ
تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان
الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة بالنصب كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر
بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى
يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع
يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن
الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة
من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس
ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك
الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي
عن الضرر بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا ولا يعطى الكاتب حقه من

الجعل

وَاِنْ تَفْعَلُوا فَاِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ وَاِنْ كُنْتُمْ عَلٰى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهٰنٌ مَقْبُوضَةٌ فَاِنْ
اَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ اَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ وَلَا
تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَاِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

الجعل ولا يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر
وان تضاروا فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه
على سفر مسافرين وقرا ابن عباس كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت
الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا
جمع كتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء
وسكونها وهي جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط
السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلعم
درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة
ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد
الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق
بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في
حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند
مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول دون القبض فان امن بعضكم
بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا
ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون
على ان يكون عند ظن الدائن وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي
اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون

لانها ائتمنه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او ياء فيقول الذي ايتمن والذي ايتمن وعن عاصم انه قرأ الذي
اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس
بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي
وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل
فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة
خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب
والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها
فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل
بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته
اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء المضغة التي ان صلحت
صلح الجسد كله وان فسد فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة
من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن
اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال الجوارح
وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات
الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله

لقوله تعالى

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من
يشاء والله على كل شيء قدير

لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه كقوله سفه نفسه وقرا ابي ابن عباس اثم قلبه اي جعله آثما
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله
فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر
ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا تدخل فيما يخفيه الانسان
الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه
ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه قال تلاها فقال
لئن آخذنا الله بها فنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال
يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل
لا يكلف الله نفسا وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط
ومرفوعين فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء
ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو
مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن
بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في
قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش
يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل
لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض

آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن
بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا و
اليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت

من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحببت زيدا عقله
وهذا البدل واقع فى الافعال وقوعه فى الاسماء لحاجة القبيلين الى
البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه
فى كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين
ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع
كقوله تعالى كل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس
وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع
قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها
لم يخرج منه شئ واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق وقرئ
ابى عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد
فى معنى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين
سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك
اى نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان
ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه
دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر لانه كان فى امكان الانسان وطاقته ان يصلى
اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابى عبلة

ولسعها

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا
على القوم الكافرين

وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير
ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها
فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت فى الاكتساب اعتمال
فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة اليه وامارة به كانت فى تحصيله
اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت
بما لا دلالة فيه على الاعتمال اى لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطا ان فرط منا
فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما
قلت ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط و
الاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر
على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذى منه
النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة
الا على وجه النسيان والخطا فما يؤاخذ به فما فيهم سبب خوف الا
الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء
من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذى
ياصر حامله اى يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق
من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك و
قرئ آصارا على الجمع وفى قراءة ابى ولا تحمل علينا بالتشديد
فان قلت اى فرق بين هذه التشديدة فى ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة

في حمل علينا وثقله لثقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات
الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم مما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في
المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف
وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا
او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك
عادتك اي فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن النبي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة
قد فعلت وعنه عن رسول الله صلعم من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه وعنه عن النبي صلعم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عن رسول الله صلعم انزل الله
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزتاه عن قيام الليل فان قلت لم
يجوز ان تقول قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس به
وقد جاء في حديث النبي صلعم من آخر السورة البقرة وخواتيم
سورة البقرة وعن علي عليه السلام خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي
لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا

هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة
واذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله تعالى
واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة
التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

قد تم سورة البقرة مجلدا على حدة من تفسير الزمخشري المعروف بالكشاف
ويتلوه مجلد آخر من سورة آل عمران الى سورة الاعراف

على يد اقل خلق الله الملك الحي الوهاب
ابن مولانا محمد ... محمد صادق الحسيني
عفا الله له ولوالديه ولمن ... اليهما واليه

مما ملكه شرف الدين محمد مكي
بن محمد رضا الدين بن شمس الدين
بن الحسن بن زين الدين من ذرية
الشريف ابي عبد الله الشهيد محمد بن مكي بن المطلبي العاملي 1165